

سلسلة اعتدال التصوف ②

# الآيات المتشابهة

بين التأويل والتفويض والإثبات



محمد عز الدين الشربيني

# مُقَدِّمَةٌ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه،  
ومن آله، واهل بيته، وأئمة الهدى بيهديه، وأئمة الهدى بيهديه إلى يوم الدين.

### وبعد

1. فإن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، يجتمعون على ثوابت في العقيدة  
لا يختلفون فيها، ومن هذه الثوابت:  
\* الإيمان بكل ما جاء في القرآن والسنة النبوية الصحيحة «والمؤمنون كل آمن  
بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرق بين أحد من رسله»<sup>1</sup> «وما آتاكم الرسول فخذوه  
وما نهاكم عنه فانتهوا»<sup>2</sup> «وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول»<sup>3</sup>.
  - \* الإيمان في باب الصفات بكل صفة ثبت صراحة وصف الله بها في المصدرين  
السابقين.
- وعلى هذا المبدأ يتفق جميع المسلمين، واختلافهم حين يختلفون في بعض  
الصفات، إنما هو في ثبوت هذه الصفة المعينة وعدم ثبوتها، فمن ثبتت عنده  
أمن بها للقاعدة المتفق عليها كل ما وصف الله به نفسه يجب اعتقاده<sup>4</sup> ومن لم

<sup>1</sup> البقرة 284

<sup>2</sup> الحشر 7

<sup>3</sup> النساء 58

تثبت عنده لم يبح وصف الله بها، ولم يجوز نسبتها إليه، استناداً إلى النص الديني «وذر الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون»<sup>1</sup> وإن من أسباب هذا الاختلاف النص المتشابه الذي يحتمل أكثر من معنى، والذي قد يحمله فريق على معنى لما يبدو له من تضافر النصوص، أو دلالة اللغة والسياق عليه، ويحمله فريق آخر على معنى آخر يظهر له نفس العلل والأسباب والقواعد.

والمأمل في تحليلات العلماء للنصوص المتشابهة على اختلاف مشاربهم، يلاحظ أنهم متفقون في القواعد التي يستندون إليها في التحليل، واختلافهم إنما هو في جانب التطبيق الذي لا يمكن لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن يدعي فيه العصمة، أو يزعم فيه انفراده بالحق والصواب، أو يرمى الفريق الآخر بالبدعة والضلال. كما قال الإمام مالك "كل أحد يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا صاحب القبر الشريف".

2. وهذا الكتاب يبرز الجانب التطبيقي والتحليلي لعقائد أهل التصوف في الآيات المتشابهة، والتي وردت في كتبهم، ككتاب حزب التوحيد للإمام الجزولي - من أئمة المالكية -، وكتاب عقيدة الأكابر للعارف بالله الشيخ عبد القادر الجيلاني، والرسالة القشيرية للإمام القشيري، وكالجام العوام عن علم الكلام للإمام الحجة الغزالي، وعقيدة الشيخ العلامة الدردير - رضي الله عنهم -، وغيرها من الكتب التي صرحوا فيها بخلاصة دراساتهم لتلك الآيات، والتي قالوا فيها بنفي الحد عن الله والمكان والجهة والصوت والحروف، وأنه في شيء، أو على شيء، أو من شيء، وأنه<sup>2</sup> تحله الحوادث، أو يحمله على الفعل باعثة ودافع ...

3. ورغبة في بيان عمق دراساتهم، وسعة إطلاعهم، وتمكنهم من أدوات البحث تكررت فيه عقائد المخالفين لهم في التحليل، وأبنتهم التي يستندون إليها.

<sup>1</sup> الأعراف 180

<sup>2</sup> هذه الجملة واقعة في نطق النقي، أي نفى أن تحته فحواث.

وتفويهما في جانب الرواية والدراية، وانفاقها واختلافها مع القواعد التي يتناولون بوجوب التمسك بها، حتى يخرج القارئ بقناعة بأن أولئك السادة العارفين ما أقاموا بديانهم، وأسسوا مبادئهم إلا على كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- وأنهم كغيرهم من أئمة هذه الأمة لم يألوا جهداً في الدراسة والبحث، والتنقيب ورصد الظواهر وتمحيص الأفكار والاتجاهات.

فإن وفقت فمن الله، وما توفيقى إلا به عليه توكلت وإليه أنيب.



## تمهيد

انقسم العلماء في الآيات المتشابهة إلى ثلاثة مذاهب:

- مذهب يفوض المعنى إلى الله، ولا يتعرض للفظ المتشابهة لا بتأويل ولا بتفسير.
  - ومذهب يؤول اللفظ المتشابه، أي يصرفه عن المعنى الظاهر المباشر إلى معان أخرى، ويستعين على هذا بالقرائن المتعددة، ويعرف الإستعمال والعادة؛ لأن التعميل في الحكم والاستنباط على قصد المتكلم ومراده. ومراده يظهر أحيانا من اللفظ نفسه، وأحيانا من العلامات والقرائن المصاحبة، فمراد المتكلم من قوله: رأيت أسدا، غير مراده من قوله: رأيت أسدا يخطب على المنبر، ففي الأول يقصد الحيوان المفترس بدلالة لفظ الأسد، وفي الثاني يقصد الرجل الشجاع بدلالة القرينة "يخطب على المنبر". ومن عرف مراد المتكلم بدليل من الأدلة وجب - عليه - اتباع مراده، والألفاظ لم تقصد لنواتها، وإنما هي أدلة يستدل بها على مراد المتكلم، فإذا ظهر مراده ووضح بأي طريق عمل بمقتضاه، سواء كان بإشارة، أو كتابة، أو بإيماء، أو دلالة عقلية، أو قرينة حالية، أو عادة مطردة<sup>1</sup>.
  - ومذهب يفسر المتشابه بالظاهر الحرفي للفظ مع الدعوة إلى عدم التمثيل والتشبيه.
- فالقدم في قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا تزال جهنم تقول هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فنقول قط قط وعزتك، ويذوى بعضها إلى بعض))<sup>2</sup> يؤمن بها المذهب الأول، لأنها واردة في السنة الصحيحة، من غير

<sup>1</sup> أحكام المؤمنين، 1، 218.

<sup>2</sup> اللؤلؤ المرجان فيما اتفق عليه الشيخان - البخاري ومسلم - 1810.

أن يخوض فيها ببحث أو تفسير أو بيان، ويؤولها المذهب الثانى بما أولها به  
أئمة السلف الصالح:

- قال الحسن البصرى: القدم فى الحديث هم الذين قدمهم الله من شرار خلقه  
وأثبنتهم لها.

- وقال البيهقى عن النضر بن شميل: القدم هذا الكفار الذين سبق فى علم الله أنهم  
من أهل النار.

- وقال الأزهري: القدم الذين تقدم القول بتخليدهم فى النار.

- وقال ابن الأعرابى: القدم المتقدم، وكل قادم عليها يسمى قدماً<sup>1</sup>.

واستعان فى تحليله هذا بالقرينة الشرعية «لأما الذين جهنم من الجنة والناس  
أجمعين»<sup>2</sup> التى تفيد صراحة بأن الامتلاء لجهنم سيكون بالمخلوقات لا بغيرها،  
ولهذا فيجب تأويل القدم حتى لا تصطدم النصوص وتتعارض، قال ابن حزم:  
إن الاسم إذا تيقنا بدليل نص أو إجماع أو طبيعة، أنه منقول عن موضوعه فى  
اللغة إلى معنى آخر، وجب الوقوف عنده<sup>3</sup>.

ويفسرها المذهب الثالث بأن الله قدما على ما يفيد ظاهر الحديث، لكنها ليست  
كأقدامنا للقرينة الشرعية «ليس كمثله شيء»<sup>4</sup>.

ويستند المذهب الأول على حسب نقل كثير من العلماء غالب السلف الصالح  
من الصحابة والتابعين وتابعيهم، ومن سار على نهجهم، قال حنبل: قيل لأبى  
عبدالله -يعنى الإمام أحمد-: ينزل الله إلى السماء الدنيا؟ قال: نعم. قلت: نزوله  
يعلمه أم ماذا؟ قال: اسكت عن هذا، وغضب غضباً شديداً<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> دفع شيء من شبه وشرد للإمام تقي الدين الحصنى 12

<sup>2</sup> المسجدة 13

<sup>3</sup> الأحكام فى أصول الأحكام 531، 4

<sup>4</sup> شعوري 9

<sup>5</sup> الصواعق الإلهية 478 و 482

وقال الإمام الشافعي عن قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾<sup>1</sup>: إن هذه الآية من التشابه التي يحار في الجواب عنها وعن أمثالها لمن يريد التبحر في العلم، أي يمر بها كما جاءت، ولا يبحث عنها، ولا يتكلم فيها لأنه لا يأمن الوقوع في الشبهة والورطة إذا لم يكن راسخا في العلم<sup>2</sup>.

ويمثل المذهب الثاني غالب علماء السنة من الأشعرية والماتريدية.

ويمثل المذهب الثالث طائفة من العلماء على رأسهم ابن تيمية وابن القيم.

وكانت الشهرة لمذهب التأويل مذهب الأشاعرة والماتريدية، الذي دان به العلماء والصالحون والصوفية المتقون في مشارق الأرض ومغاربها، والذي اعتنقه الجامعات الإسلامية العريقة، كالأزهر الشريف والزيتونة، والقرويين، وفي بلاد العراق، وما وراء النهر.

وقد خاصم ابن تيمية وتلميذه ابن القيم مذهب التأويل، وأوليا هذه المخاصمة غاية فائقة، استغرقت شطرا من عمرهما، بذلا فيه أقصى طاقتهما الذهنية والفكرية، واستندا في هذه المخاصمة على:

- أن التأويل يخالف القرآن والسنة والإجماع ومذهب السلف.
- أن التأويل يؤدي إلى التعطيل، أي تعطيل الذات عن الصفات الموصوفة بها، وتعطيل حقائق الألفاظ حين تصرف عن ظواهرها، والتعطيل قاذح في عقيدة التوحيد، لأن فيه تحريفا للكلم عن مواضعه.
- أن التأويل يستند على المجاز، والمجاز لا يوجد في اللغة والشريعة، ولم يقل به أحد، لا من أهل الفقه والحديث والتفسير، ولا من أهل اللغة، لا أحمد، ولا مالك، ولا أبو حنيفة، ولا الشافعي، ولا خليل، ولا سيبويه، ولا عمرو بن العلاء، ولا غيرهم، وإنما هو اصطلاح حادث، جاء من جهة المعتزلة ونحوهم من المتكلمين<sup>3</sup>.
- أن التأويل يؤدي إلى القول بالمجاز، والمجاز كذب لصديق نفيه.

<sup>1</sup> طه 4

<sup>2</sup> الفقه الأكبر ص 17

<sup>3</sup> الإيمان 84

- أن التأويل يعتمد على القول بالوضع الأول، ولا يوجد ما يدل على أن في اللغة وضعاً أولاً استعملت فيه الكلمة، ثم نقلت منه إلى معنى آخر على سبيل المجاز، ومن ادعى ذلك فهو مبطل، فإن هذا لم ينقله أحد من الناس<sup>1</sup>.
- أن التأويل يعتمد على المجاز، والمجاز تقسم فيه الألفاظ إلى مستعمل فيما وضع له، وإلى مستعمل في غير ما وضع له، وهذا التقسيم فاسد، لأنه يتضمن إثبات الشيء ونفيه. إلى غير هذا من الاعتراضات التي أوردها ابن تيمية في كتبه، وابن القيم في كتابه "الصواعق المرسلة"، والتي ناقشها العلماء قديماً وحديثاً، والتي سيأتي الجواب عن أهمها إجمالاً وتفصيلاً.



<sup>1</sup> انظر مجموع الفتاوى 7، 90-91

## التقويم الإجمالي

1. الصرف عن الظاهر حين توجد القرينة أمر نيهت عليه الشريعة، كما جاء في حديث حاتم رضي الله عنه - الذي قال: ((أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعلمني الإسلام، ونعت لي الصلوات، كيف أصلي كل صلاة لوقتها، ثم قال - أي الرسول - صلى الله عليه وسلم -: ((إذا جاء رمضان فكل واشرب، حتى يتبين لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، ثم أتم الصيام إلى الليل. ولم أدر ما هو، فقلت خيطين من أبيض وأسود، فنظرت فيهما عند الفجر، فرأيتهما سواء. فأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت: يا رسول الله، كل شيء أوصيتني به قد حفظت غير الخيط الأبيض والأسود. قال: ((وما منعك يا بن حاتم))، وتبسم، كأنه قد علم ما فعلت. فقلت: خيطين من أبيض وأسود، فنظرت فيهما، فوجدتهما سواء. فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى روي نواجذه، ثم قال: ((ألم أقل لك من الفجر إنما هو ضوء النهار وظلمة الليل))<sup>1</sup>.

فرسول الله - صلى الله عليه وسلم - استخدم<sup>2</sup> الخيط الأبيض والأسود في النهار والليل، أي في غير معناهما الحقيقي، وأقام قرينة على استخدامه، وهو قوله ((من الفجر)) واستخدامه هذا يسمى تأويلاً ومجازاً، قال القاضي الباقلاني: هو لفظة معقولة المعنى، لها حقيقة ومجاز، فإن أجريت على حقيقتها كانت ظاهراً، وإذا عدلت إلى جهة المجاز كانت تلويلاً<sup>3</sup>.

وفي أثر عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهما - الأتي تنبيهه على الاستخدام المجازي، وعلى النقل من المعنى الأصلي للكلمة.

<sup>1</sup> جامع البيان 100، 2

<sup>2</sup> ومن قبله القرآن

<sup>3</sup> البرهان 416، 1-417

جاء في شفاء العليل لابن القيم في تفسير قوله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾<sup>1</sup>: الحرج هو الشدّ الضيق في قول أهل اللغة جميعهم. يقال رجل حرج وحرج أي ضيق الصدر.. قال عبيد بن عمير: قرأ ابن عباس هذه الآية، فقال: هل هذا أحد من بني بكر؟ قال رجل: نعم. قال: ما الحرجة فيكم؟ -أي في ماذا تستعملونها وعلى ماذا تطلقونها- قال: الوادي الكثير الشجر الذي لا طريق فيه. قال ابن عباس: كذلك قلب الكافر.

وقرأ عمر بن الخطاب الآية فقال: ايتوني رجلاً من بني كنانة، واجعلوه راعياً -أي اختاروا من اشتغل بالرعي-، فأتوه به، فقال عمر: يا فتى ما الحرجة فيكم؟ قال: الشجرة تحرق بها الأشجار الكثيرة، فلا تصل إليها راعية ولا وحشية. فقال عمر: كذلك قلب الكافر. لا يصل إليه شيء من الخير<sup>2</sup>. فنبه هذا الأثر على:

- النقل من الوضع والاستعمال الأول - الوادي أو الشجرة - إلى الاستعمال الثاني وهو قلب الكافر.

- على نوع العلاقة بين الاستعمالين وهي المشابهة

- أهمية رصد معاني الكلمات والبحث عنها في تفهم نصوص الشريعة. وهذا عين ما قام به علماء اللغة والمعاجم.

- أن قول من قال إن المجاز لم يقل به السلف، إن أراد عملية وتطبيق المجاز نفسه، فهذا قول مدفوع، وإن أراد مجرد التسمية فمجرد التسمية لا يفيد نفيه في إبطال المجاز نفسه، باعتباره فناً من فنون القول، وأداة من أدوات التعبير.

2. أن ابن تيمية في تحليله لطواهر المتشابهات قد وقع في التأويل الذي ينكره؛ فالقدم في الحديث الشريف السابق ((... حتى يضع رب العزة فيها قدمه)) في أصل اللغة، تطلق على القدم المعروفة والجارحة المعلوم، وتفسره لها بأنها قدم ليست كأقدامنا تأويل؛ لأنه خرج به عن الصورة المعلوم للقدم إلى صورة أخرى غير معروفة، لم يوضع لها لفظ القدم في اللغة، واستعان في تحليله

<sup>1</sup> الأعمام 126

<sup>2</sup> شفاء العليل 203 و 227

بغيره حتى يصل إلى مراده، وهو قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾<sup>1</sup> ولو كان استخدام القدم حقيقة فيما ذهب إليه لاستعني عن استخدام القرينة، وهذا ظاهر (لأن الألفاظ إذا لم تكن مشتركة فلا تستعمل في حقائقها مرتين، وإنما تقع حقيقة في موضع استعمالها الأول، فإذا أخرجت عنه كانت مجرأ)<sup>2</sup>.

ولفظ القدم لم يكن مشتركاً، لأنه حين يقرأ أو يسمع يسبق إلى الفهم صورة القدم المعروفة دون غيرها من الصور المجهولة، والألفاظ المشتركة عند أهلها لا يسبق فيها إلى الفهم بعض دون بعض.

3 أن التأويل لا يؤدي إلى التعطيل، فالقدم في الحديث الشريف حين تؤول على غير حقيقتها لوجود القرينة للشرعية، لا يؤدي هذا التأويل إلى التعطيل لا للذات ولا للألفاظ؛ لأنه ليست هناك صفة أصلاً تسمى القدم لعدم ما يدل عليها - كما سبق بيانه - فلا يكون تأويلنا للقدم بغيرها، ولم تكن القدم في الحديث تدل على القدم حقيقة، حتى يصح أن نقول إن تأويلنا فيه تعطيل لحقنق الألفاظ.

4. أن السلب للصالح الذي يستند إليه ويحتج به ابن تيمية في التأويل والتفسير، هو الذي يبه على الوصف الأول ولصل الكلمة.

- قال ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿أو تحريراً مؤسمة﴾، يعنى تعالى ذكره بذلك أو فك عبد من أسر العبودية ونيلها، وأصل التحرير الفك من الأسر، ومنه قول الفرزدق:

أبني عداة بني حررتكم فوهنكم لعطية بن حمان

يعنى بقوله "حررتكم" فككت رقابكم من مل الهجاء ولرومه<sup>3</sup>.

- وقال في قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾<sup>3</sup>. اجتمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أن الصراط المستقيم، هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج

<sup>1</sup> المجاز في اللغة والفكرى الكريم 693,2

<sup>2</sup> جامع البيان 18,7

<sup>3</sup> القامة 5

فيه. و - في لغة جميع العرب - تدسنعير العرب النصيرط فستعمله في كل قول وعمل بوصف باستقامة واعوجاج<sup>1</sup>.

وس جرير هنا ((حكي إجماع الأمة من أهل التأويل على أن المراد بالنصيرط وضعه هو الطريق المستقيم - أي لا أعوجج فيه، فيكون استعماله في غيره مستلماً في الآية الحكيمة - حروجه إلى غير معناه هو المجاز<sup>2</sup>))

- وفي قول نعتي: فأوى قبوهم مرضع<sup>3</sup> وأصل مرضع السقم، ثم يقال ذلك في الأجساد والأبال<sup>4</sup> والمر - من الأصل هو أصل التوضع

وس نيمه يقول عن تفسير ابن جرير التفسير الذي في يدى الناس أصحها تفسير ابن جرير النصيري، ومنه ذكر مولات أسلف بالأسبب الشبهة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين<sup>5</sup>.

وهذه التريكة نقب صحة قول ابن جرير بأصل التوضع النعوى، وصحة قوله بإجماع عليه وقول ابن تيمية السابق بقدر أن من يقول بتوضع الأول يعتبر من المنحصرين<sup>6</sup>، وفي وصفين ينصف بهما الإمام ابن جرير، هل هو يرى من التبدع ونقصه كما هو ظاهر النص الأول، أو هو في ومة المبحذين كما حكى به النص الثاني؟

- في نو عبدة (وفي سنة 1411) في قول جرير

لا قوم أكرم من تميم اد عدب عود النساء بس كالأحل

فتر قوله (عود النساء) من الذي معهن أو لا هن، وأصل عود لأنن شيء معها أو لاها، ففقه العرب إلى نساء. وهذا من المستعبر، وقد يفعل ذلك العرب كثير<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> المراجع السابق 57,1-58

<sup>2</sup> المجاز 456

<sup>3</sup> البقرة 9

<sup>4</sup> جامع البيان 94,1

<sup>5</sup> مجموع الفتاوى 192,2

<sup>6</sup> المراجع السابق 7-90-91

<sup>7</sup> التفاضل 121,1 نفا عن كتاب المجاز للمنطقي

- قال أبو عمرو بن العلاء في قول ذي الرمة:  
أقامت به حتى دوى العود      وساق الثريا في ملاءه الفجر  
قال:

لا ترى كيف صير له أي الفجر - ملاءة، ولا ملاءة له، وإنما يستعار له هذه  
اللفظة<sup>1</sup>.

- قال ابن فيبة (213 276) العرب يستعير بكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان  
التمثيل بها بسبب من الأخرى أو مجاوزتها فيقولون للباب سوء، لأنه  
يكون من السوء عندهم. قال رؤبة بن المعجاج:

### وجف أنواء السماء المرتق

أي جف انقل ويقولون للمطر سماء، لأنه من السماء يبرق<sup>2</sup>

- قال الخطابي في شرحه الحديث ((إذا سكب المؤنس بالأولى من صلاة الفجر  
ثم ركع ركعتين حقيقتين)) قال: قال سويد: سكب يريد أن، السكب انصب  
والدق، وأصله في الماء يصب، وقد يستعار، فيستعمل في القول والكلام، كقول  
القائل: أفرع من أذننى كلام لم أسمع مثله<sup>3</sup>.

وهذا يدل على أن اللفظ المتحدث عنه له دلالتان، أحدهما أصلية، وهي دلالة  
الوصف الأول، والثانية فرع وهي دلالة المجاز.

- قال المبرد (نوفى سنة 285) في تحليل قول مية:

أمرتك يا رباح بأمر حرم      فقلت هشيمة من أهل بحد

قال تأويله صغفه، وأصل الهشيم البت إذا جف وكسر، فزنته الرياح بميم  
وشمالاً<sup>4</sup>.

- قال الإمام أبو حنيفة، إن المجاز حلف الحقيقة في النكاح<sup>5</sup>

<sup>1</sup> المسند لابن رشيقي 269.1

<sup>2</sup> تأويل المشكل 135

<sup>3</sup> معاني القرآن 363.2

<sup>4</sup> التكميل 49.1

<sup>5</sup> كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام لليربوعي 2 77 80

- قال الشافعي: فإنما حاطب الله بكتابه للعرب لسانها على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها<sup>1</sup>، وإن فطرته أن يحاطب بالشيء منه عاماً يراد به العام الظاهر، وعاماً يراد به العام وينحله الخاص، وطاهر<sup>2</sup> يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهر<sup>3</sup>.
- والجملة الأخيرة من قول الإمام الشافعي تعتبر قاعدة كلية للمجاز، ومعناها أنه يدرك من خلال السياق القرينة الصارفة عن إرادة المعنى اللغوي الأصلي.
- قال الشافعي: إن الطلاق يقع بلفظ التحرير مجازاً، والعناق يقع بلفظ الطلاق مجازاً.
- قال فخر الإسلام البردوي: لم يمنع أحد من أئمة السلف من استعمال المجاز<sup>3</sup>.
- قال ابن عطية -توفي سنة 310 هـ- في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الصراط في اللغة الطريق الواحد واحتلف المفسرون في المعنى الذي استعير -أي نقل إليه- الصراط في هذا الموضع وما المراد منه<sup>4</sup>.
- فهؤلاء أئمة السلف يقولون بخلاف ما يقوله ابن تيمية؛ فهم يقولون بالتوصع الأول، وبالنقل منه على سبيل الاستعارة والمجاز، وهو يقول إن هذا لم ينقله أحد، ومن يقول هذا مبطل، وعلى قوله فالسلف من المبطلين.
5. المجاز ليس كذباً لـ:
- أن المتجور ينصب بين يدي الغاري قرية تصرّف عن إرادة المعنى الوصفي. أما الكذب فإن الكاذب يحرص على إحقاق حاله وترويح كنهه.

<sup>1</sup> التوسع من باب المجاز قال ابن الأثير المجاز لا يخرج عن هذه الأقسام الثلاثة بما توسع أو تشبيه واستعارة المثل السابق 82، 83 وقال ابن جني لا يصلح من الحقيقة إلى المجاز لا معاني ثلاثة وهي الاتساع والتشبه والتوكيد المرجع السابق 84، 85

<sup>2</sup> رسالة 53

<sup>3</sup> كشف الأسرار 77، 2-80

<sup>4</sup> المحرر الوجيز 122، 1

- أنه إنما يكون كذباً لو أثبت فيه المعنى على التحقيق لا على المجاز، فيكون إطلاق الأسد على الرجل الشجاع كذباً لو ادعى أنه حيوان مفترس، وليس هذا المقصود من الإطلاق، وإنما القصد تشبيهه به في الشجاعة والجرأة.

### اعتراضات ابن القيم

اعترض ابن القيم في كتابه "الصواعق المرسلة" على استخدام المجاز بأكثر من خمسين اعتراضاً، وقد تعرض العلماء قديماً وحديثاً لمناقشة هذه الاعتراضات ونقدتها، ومن أشهر هؤلاء العلماء العلامة الدكتور عبدالعظيم المطعني في كتابه القيم "المجاز في اللغة والقرآن الكريم" الذي بلغ أكثر من ألف ومائة صفحة في جزئين كبيرين، أثبت فيه استخدام السلف للمجاز وتأويلهم للتصوير. وناقش فيه ابن تيمية وابن القيم بإسهاب كبير، أطل في كل الحجج الواردة في كتبهما، والرجل ليس من أعداء ابن تيمية وابن القيم حتى يتهم بالتعصب، وإنما هو من المعجبيين بهما، اللاهجين بالثناء عليهما.

ويسمى لكل من يقرأ لابن تيمية وابن القيم الاطلاع على هذا الكتاب، حتى يكون على بصيرة وبينة من أمره ((انظروا عمن تأخرون دينكم))

والمسألة جلل، فالأحد بالتظاهر غير الآخر بالتأويل في سنانح والآثار، فإحد بالتظاهر يترتب عليه القول بقدوم العالم، وفناء آثار يوم القيامة، وليس الأنبياء عليهم السلام - بالمعصي ولأثم، وتحرير به في المكس والجهة، والقول بالأجراء له والأبصار من اليد والقصد ووجه، والقول بصحة الأمة المؤولة إلى غير هذا من العقائد التي تنرم بها ابن تيمية وعنفها، ودعا أتباعه إلى الإيمان بها.

- وسأورد هنا عشرة اعتراضات لاس القيم على محمد، وسأقبل اجبة العذمة المحقق المطعني عليها بما يحسم موضوع هذا الكتاب.

## الاعتراض الأول

قال ابن القيم ما يرفع المجاز بالكلية أنهم قنوا إلى من علامة الحقيقة السبق إلى الفهم، وشرطوا في كونها حقيقة الاستعمال، وعند الاستعمال لا يسبق إلى الفهم غير المعنى الذي استعمل اللفظ فيه، فيجب أن يكون حقيقة، فلا يسبق إلى فهم أحد من قول النبي صلى الله عليه وسلم - في الفرس الذي ركبته. ((ب- وجدناه بحرا)) للماء الكثير المستبحر، فإن في ((وجدناه)) ضميرا يعود على الفرس، يمنع أن يراد به الماء الكثير، ولا يسبق إلى فهم أحد من قوله صلى الله عليه وسلم : ((إن حالدا سيف مله الله على المشركين)) أن حالدا حديد طويلة لها شفرتان، بل السابق إلى الأفهام من هذا التركيب بظير السابق من قولهم: يا رمول الله، إنا نركب البحر، وبحمل معنا القليل من الماء<sup>1</sup>.

## جواب المظني

العلامة قد جانيه الصواب هنا بشكل واضح، فيما أن يكون قد فهم كلامه المجاريين وتجاهله، أو لم يفهمه، فمراد المجاريين من ((الناذر)) إنما هو عدد خلو الكلام من قرينة التجوز، أما عدد وجود القرينة فالمناذر هو المعنى المجارى وليس الحقيقي، والعلامة لم يلاحظ هذا كما هو مقتضى كلامه. ومن الأخطاء التي وقع فيها عدد الضمير المذكورين من باب المجاز، ولا مجاز فيهما، فحديث الفرس تشبيه، والتشبيه حقيقة، وحديث حال تشبيه كذلك. لأنهما لو كانا استعارتين، والاستعارة على تصحيح لا يجمع فيهما تشبيه والمشبه والمشبه به، وهما هنا الفرس والتحر، وحال وتشبيه، وبهذا ينهار من الأساس ما توهم في عدد هذا مجازا، وليس هو مجاز. وقد ناقشاه مع ابن جني من قبل<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> الصواعق 321

<sup>2</sup> فهار 949,2

## الاعتراض الثاني

يتمتع بحول المحار هي كلام الله، لأن الله لم يصنع ألفاظ كلامه لمعان، ثم نقلها إلى غيرها، ولا كان كلامه تابعا لأوضاع المخلوقين<sup>1</sup>

### جواب المظني

هاتان معالطتان مفصوحتان كان حريا بالعلامة ابن القيم، وهو العالم الفد، والفقير الجهد، والمجال الذكي أن يقع فيهما، فمن ذا الذي يقول إن كلام الله في التوراة والإنجيل والقرآن وضع الله ألفاظه<sup>2</sup>؟<sup>3</sup> والله يقرر في كتابه الحكيم الذي كان يحفظه العلامة ويعمره قابولا مطردا، لم يتحلف في إرسال الرسل وإرسال كلامه عليهم «وما أرسلنا من رسول إلا لسان قومه ليبين لهم»

هذه الآية الحكيمة تبطل دعوى العلامة بشقيها

- كون الله سبحانه - وضع ألفاظ كلامه وصفا خاصا

- يعني أن يكون كلام الله تابعا لأوضاع المخلوقين.

لأن كلام الله الموحى إلى كل أمة نزل بألفاظها تابعا لأوضاعها؛ لأن المقصود من الرسالة البيان، ولو بعث رسول في أمة بوحى مخالف للغة الأمة وأوضاعها لما كان بيانا وهدى<sup>3</sup>.

## الاعتراض الثالث

إن اللفظ عند تجزئه عن جميع القرائن يصبح مجرد صوت غير مفيد، مشرط، وغاق فكيف ينزب على التجرد مجاز<sup>4</sup>؟<sup>5</sup> على محور واحد به ما حُدِّج إلى فرد في المفرد<sup>6</sup>، المعنى كتب الثعالب كذا محذرا<sup>7</sup>؟<sup>8</sup>

<sup>1</sup> الصواعق 316

يقصد من "و" أن الله قد خبر عن وضعه على صيغته، فلا "و" غير

<sup>3</sup> المجاز 937

فرقوا بين قرينة وقرينة كان ذلك تحكما محصا. كأن يفرقوا بين القرائن اللفظية والقرائن المعنوية<sup>1</sup>.

### جواب المطعنى

أطال<sup>2</sup> المؤلف في هذا الوجه، وسواء علينا أطل أم أوجر، لأن صواب هذه المسألة قائم على اصطلاح خاص، فليس المراد عند مجورى المجاز من التجرد والاطلاق التجرد العام من كل القرائن، بل المراد خلو الكلام من القرائن المنصوبة لتحقيق المجاز، فقولنا "رأيت أسدا يحطب في الجند" صار مقيدا بقرينة تصرف عن معنى "الأسدية الحيوانية" إلى معنى الشجاعة والإقدام. وسواء عند مجورى المجاز أن تكون القرينة المحققة للمجاز عقلية أو لفظية، ولكن ليس كل قرينة لفظية كانت أو عقلية محققة للمجاز، فالمفعول في "أكلت دما" قرينة لفظية محققة للمجاز، لأن السم لا يؤكل، وبخاصة دم الأنمي المقصود هنا، والمفعول في قولنا "قرأت كتابا" قرينة لفظية، ولكنها لا تحقق المجاز، والاضافة في "مكر الليل" قرينة لفظية محققة للمجاز<sup>3</sup>، أما الإضافة في قولنا "مكر الانسان" بقرينة لفظية، ولكنها لا يترتب عليها مجاز. والعقلية مثل اللفظية تحقق المجاز حينا، ولا تحققه حينا آخر، فقول الشاعر:

وما الدهر إلا من رواة قصاندى إذا قلت شعرا أصح الدهر منشا

فيه قرائن عقلية محققة للمجاز؛ لأن الدهر - وهو الرمز - لا يروى ولا يشد، وإنما يروى وينشد أهله.

ومثله عبارة سيبويه المذكورة في أول الكتاب "حملت الليل" وشربت ماء البحر" فالمعلل يجمع أن يحمل إنسان جبلا، وأن يشرب ماء بحر فلا يشتر منه شيئا، وإذا قال إنسان: الولد أكبر من أبيه منا، حكم العقل بفساد هذا الكلام، ولا يترتب على القرينة العقلية هذا مجاز.

<sup>1</sup> انظر الصواعق 299

<sup>2</sup> هذا قصص ملخص لكلام ابن القيم

<sup>3</sup> لأن الليل لا يسكر

وإنما جانب المؤلف الصواب -ها- لأنه أراد أن يحكم مجورى نمدج على أساس قوانين كلية، لا على أساس مصطلحات العلوم والفنون الخاصة بكل علم وفن.

### الاعتراض الرابع

تقسيم الألفاظ إلى مستعمل فيما وضع له، وإلى مستعمل في غير ما وضع له تقسيم فاسد، لأنه يتضمن إثبات لشيء وبغيره<sup>1</sup>.

### جواب المظني

يريد المؤلف أن يقول: إن استعمال اللفظ في غير ما وضع له معناه يعني الوضوع، وإن استعماله في المجاز معناه إثبات الوضوع. وهذا -عنده- جمع بين النقيض؟! وهذه معالطة كبرى من المؤلف، فاستعمال اللفظ في المجاز لا يعني الوضوع الأول، لأن المجاز إجماعاً ملاحظ فيه المعنى الوضوعي، فالقرآن الحكيم حين أطلق على الجهل لفظ الموت لم يلع الدلالة الحقيقية لكلمة الموت، بل استثمرها في المعنى المجازي.

سمى الجاهل "ميتاً" لأن الميت عديم الرفع، وكذلك الجاهل، والعلامة نفسه حين سمي كتابه "الصواعق" لم يلع للمعنى الحقيقي لهذه الكلمة ندى هو الإحراق والإهلاك، بل شبه كتابه في القضاء على خصومه بالصواعق في قوة التأثير، وهكذا كل مجاز، فأين إلقاء الوضوع يا ترى؟

### الاعتراض الخامس

التسليم بصحة المعنى المحاربي لا يصح إلا بعد تعيير المعنى الحقيقي بممير مفصل، لأن صحة التمييز بين الألفاظ ذبح لصحة التمييز بين المعنى، فإذا لم يصح التمييز كان التقسيم تحكماً محضاً<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> الصواعق 291

<sup>2</sup> فمجاز 218.2

<sup>3</sup> الصواعق 292

## جواب المظني

هذه القاعدة التي ذكرها المؤلف صحيحة، ولكن لا أثر لها فيما نحن بصدده؛ لأن التمييز بين المعنى الحقيقي حاصل حصولاً بيده، ونسجد بعض الأمثلة التي تقدمت. فقد قلنا إما إن الفرار الكريم أطلق لفظ الميت على الجاهل مجازاً، والمعنى الحقيقي متميز كل التمييز عن هذا المعنى المجازي، فالميت الذي فارقت روحه بنده إن كان مملوماً غسل وكفن، وصلى عليه، ثم دفن، ويورث إن كان له مال ووراث، وتحل كل ديونه بالموت، وتسقط عنه التكاليف. أما الميت الجاهل فلا تجرى عليه تلك الأحكام التي تقدمت، فهل بعد التمييز من تمييز؟<sup>١</sup>

## الاعتراض السادس

هل المجاز محصور عندكم بلغة العرب أم عام في كل اللغات؟ ويرتب على هذا محصورين، فإن قال مجرؤا المجاز إنه خاص بلغة العرب، قال لهم هذا تحكم فاسد، وإن قالوا عام في كل اللغات قال لهم. هذا أمر ينكره أهل كل لغة، بل يجزمون بأن لغتهم باقية على موضوعاتها لم تخرج عنها<sup>٢</sup>.

## جواب المظني

هذا بفلاس في محاوراة الخصوم، وخروج بموضوع النزاع إلى غير حاجته. لأن مفكري كل لغة يولون عديتهم بلغة أمتهم، وهل سأل هو كل الأمم عن المحار والقل فجانبوه بما دعه، وهل كان يعرف أن هذه الدعوى باطلة، وإن المجاز موجود في كل اللغات، وإن أرسطو قبل الميلاد بأكثر من أربعة قرون كان قد تكلم على المجاز والقل والاستعارة والتشبيه والفرق بين الاستعارة والتشبيه<sup>٣</sup>، وأوروبا في نهضتها الأدبية والنوعية الحديثة اعتمدت على أدب

<sup>١</sup> المجاز 202

<sup>٢</sup> الصواعق 315

<sup>٣</sup> فنلر أرسطو في فنلر 497

اليونان القدماء، وحدثت حذوهم ردها من الرمن، وادب الأمم حافلة بصور رائعة من المجاز لا يكرها إلا معاند: هودا وفرنسا وروما وغيرهم وغيرهم  
أجل: إن المجاز عام في كل لغة، وإن اقتصت العربية بكثرة البحث فيه حتى  
اشتهر فيها وذاع أثره<sup>1</sup> <sup>2</sup>

### الاعتراض السابع

يعجز البيانيون عن توصيح الفرق بين قرائن المجاز وقرائن غير المجاز<sup>3</sup>.

### جواب المظني

من أسر الميسور عند المجاريين التفرقة بين القرائن التي يكون معها الكلام مجازاً، وبين القرائن التي يكون معها الكلام حقيقة، لعطيات كانت أو معبويات، وسبقنا على ذلك عدة أمثلة فيما تقدم<sup>4</sup>، ونصيف هنا: لو كان مائة قد سأل العلامة وهو في مجلس فقه فقال: ما حكم رجل حرق بطن حامل<sup>5</sup> فماتت، ومات ما في بطنها؟ فإن جوابه، وهو الفقيه العليم، لا بد أن يكون يقتل الرجل قصاصاً إن كان متعمداً، وعليه دية الأم وجسدها إن كان محطناً. وإن سألته آخر فقال: ما حكم رجل حرق بطن الوادي<sup>6</sup>، وسار به بفرس راحاً جنيهاً؟ أكون جوابه مثل الأول فيرى في هذا جريمة كما رى في الأول؛ ثم أن هذا، عمل مباح وإن كان فيه خرق بطن<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> انظر اللغة الشاعرة للأستاذ فهد 35

<sup>2</sup> المجاز 936,2

<sup>3</sup> المصايق 328

<sup>4</sup> انظر جواب الاعتراض الثالث

<sup>5</sup> الإضافة هنا حقيقة

<sup>6</sup> الإضافة هنا غير حقيقة بل مجازية

<sup>7</sup> المجاز 941,2

[يعني أن اختلاف جوابه يعني إدراكه للفرق بين العرش التي يكون معها الكلام محاراً، والعرش التي يكون معها الكلام حقيقياً.]

### الاعتراض الثامن

يدّعي ابن القيم في أمارة المجاز المعبر عنها بأن سقط عن الإطلاق يكون المعنى المتبادر منه إلى الفهم هو الحقيقة، وما عدا ذلك عتق - هو المحار، وأن القائلين بالمجاز ليسوا ممن يحتج بعريبتهم<sup>1</sup>؛

### جواب المظني

دعوى أن أكثر القائلين بالمجاز ليسوا عرباً، ولا يحتج بعريبتهم دعوى باطلة بشقيها، فسيبويه وإن لم يكن من أصل عربي هو إمام سحابة والتعويين بلا مراع، وقد أدرك الاستعمال المجازي من وقت مبكر، وسمعه الاتساع في الكلام، وحذا حدوه الفراء وأبو عبيدة وابن قتيبة، وأبو عمرو بن العلاء، وابن الأعرابي، ومؤرخ السنوسي الذي كان يحفظ كما قيل ثلث اللغة، ثم حد الجاحظ حنوها وأصاف، وكذلك المبرد وغيرهم كثير، بل إن التصريح بالمجاز بلفظه ومعناه معرو إلى الإمام الشافعي والإمام أبي حنيفة وصاحبيه، وهذه دعا في حديثنا مع ابن تيمية مع توثيق النقل عنهم، فليراجع من يريد ما نشر بمعنى تحقيقي فيكمي فيه قصة النجوم الذين فهموا من قوله بعثني «حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود»، إن المراد من الخيطين هما الخيالات الأبيض والأسود، إلى أن يدل قوله تعالى: «من المحر» فكانت نصاً في فهم المراد.

وهذه المبادرة مطردة، لذلك احتج في المجاز إلى الفرائض الصارفة عن المعبر الحقيقي المتبادر، وهذا هو الحق<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> نفس المصدر في فوج لثقي والأربعون

<sup>2</sup> المجاز 993,2

## الاعتراض التاسع

لو صح تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز لكان ملك إما باعتبار لفظه فقط، أو باعتبار معناه فقط، أو باعتبارهما معاً والكل باطل والتقسيم باطل.

## جواب المظني

الالتزام بين الألفاظ والمعاني كالتزام بين الروح والحياة، واللفظ حين ينظر إليه معناه عن وجوده في جملة ذات معنى تام لا يفيد إلا التصور، وتعمل المعنى بلا واسطة لفظ يدل عليه يكاد يكون مستحيلاً، فالألفاظ أوعية المعاني كمقارن، وعلى هذا تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز منظور فيه إلى الألفاظ والمعاني معاً، فمثلاً قوله صلى الله عليه وسلم: «في النساء» ((الفوارير)) فإن لفظ الفوارير هنا بحسب معناه مجازي، ومعنى بحسب دلالة اللفظ عليه في هذا الموضع مجازي أيضاً، فتقسيم الكلام إلى حقيق ومجرات مرعى فيه الألفاظ ومعانيها، وهذا لا يكره منصف، ويرد الأمر وصوحاً حين نقارن بين قوله تعالى: «ويطاف عليهم بآية من آية وأكواب كاس قوارير فواريراً من قصة قدروها تقديراً»<sup>1</sup>

إن دلالة (الفوارير) في الآيتين تختلف اختلاف بين عن دلالة فوارير في الحديث، فالسأل والمطلوب في الحديث مجازي بعينه، والسأل والمطلوب في الآيتين حقيقة باعتبار، وأية عرانة في صحة هذا التقسيم إلا العربية التي تنشأ عن التعصب وحده، إن التعصب كثير ما يلبس الأشياء غير أنواعها<sup>2</sup>

## الاعتراض العاشر

يأخذ على المجازيين ما حذروا كلاهما لا حجة له فيه، لأنهم را هم يمدحون المجرى على أصليين كما يقول: قارة بالحمل والأحدر، فيقولون أراد المصنوع من

<sup>1</sup> انظر المواضع 335

<sup>2</sup> الإنسان 15-16

<sup>3</sup> مجاز 2، 948

كلامه هذا النجور يكذب عن كذا، وبارء يستعملون هم المجاز في خطيهم  
وكلامهم، ويقولون استعربنا كذا لكذا، ويرد عليهم أصلهم الأول، فيقول: من  
ابن لكم إن المتكلم لم يرد بكلامه معناه المفهوم منه عند الخطباء، يعني  
الحقيقي<sup>1</sup>

### جواب المطعني

من المعلوم أن المتكلم بالمجاز ينصب قرينة تدل على مراده منه، وأحياناً تكون  
القرينة مقررة بطبيعتها، مثل قول ابن الرومي في وصف الطبيعة في الربيع،

ترجحت بعد حياء وحمر      ترح الأشي تصدت لذكر

فوصف الطبيعة بالنرج مجاز، والقرينة هو الحديث عما لا يفعل، وأراد  
النرج إنما هو فعل الغفلاء، وإذا قال ناقد إن هذه صورة مجازية وردت في  
شعر ابن الرومي لم يكن منقولا عليه، لأن من المحال أن يكون الشاعر قد  
أراد من النرج هنا نفس المعنى المبهى عنه في القرآن الكريم في قوله تعالى  
«أولا ترحن ترحح الحاهلية الأولى»<sup>2</sup>

وكذلك محال أن يكون مراد النبي صلى الله عليه وسلم - من (الفوارير) في  
الحديث المتقدم<sup>3</sup> معنى الفوارير في الآية (كانت قواريراً)  
وإذا كان من حق الناقد أو المشرح أن يفسر كلام غيره على هذا المذهب، فهو  
بتفسير كلام نفسه أحق<sup>4</sup>.

### ملاحظة

مع شدة معارضة ابن القيم للمجاز والتأويل في كتابه "الصواعق" و "النونية"  
فهو موسوع فيهما في كتب أخرى متعددة كشفاء العليل، وبدايع الفوائد، والتميز  
ودلالات هذا المعارض والناقض سيأتي التعرض لها في التوفيم التفصيلي  
عند مبحث الصوت.

<sup>1</sup> الصواعق 378

<sup>2</sup> الأحرف 37

<sup>3</sup> وفقاً للفوارير

<sup>4</sup> للمجاز

# التقويم التفصيلي

## مبحث الصوت

### عقيدة ابن تيمية

يعتقد ابن تيمية أن الله حين يتكلم يتكلم بصوت وحرف يقول في كتابه مجموعة الرسائل، ثم تكلم بالقرآن بحروفه ومعانيه بصوت نفسه كما ثبت بالكتب والسنة وإجماع السلف<sup>1</sup>. وما تكلم الله به فهو قائم به<sup>2</sup>.

قال الله تعالى: ﴿وَيُنَادِيهِ مِنْ حَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾<sup>3</sup> فهذه الآية تدل على أنه يتكلم بحرف وألغاط وصوت؛ لأنه لا يصح في العقل نداء ليس مسموعاً لنا، ولا يسمع إلا الصوت<sup>4</sup> يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يقول الله: يا آدم، فيقول لبيك وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من دريتك معنا إلى النار))<sup>5</sup>.

وعن جابر بن عبد الله بن أنيس قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((يحشر الله العباد، فيناديهم بصوت، يسمعه من بعده كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا النيان))<sup>6</sup>.

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا تكلم الله بالوحي، سمع هذا السماء كجر السلسلة على الصفا))<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> 193

<sup>2</sup> مجموعة الرسائل 493

<sup>3</sup> مريم 91

<sup>4</sup> مجموع الفتاوى 531,6-532

<sup>5</sup> البخاري الحديث 180,4 في باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّعُ الشَّفَاعَةَ عِنْدَ إِلَهِكُمْ﴾

<sup>6</sup> البخاري الفتح 234,17

<sup>7</sup> مجموع الفتاوى 234,6

و. ح. س. ب. ك. م. بصوت يشبه صوت الصواعق، لما جاء في الحديث. ((لما  
 جاء موسى إلى قومه، قالوا له صف لنا كلام ربك، فقال: سبحان الله! وهل  
 تستطيع أن أصفه لكم؟  
 قالوا: فصفه.

قال: سمعتم أصوات الصواعق التي نزلت في أحلى حلوة سمعتموها؟ فكانه  
 مثله))<sup>1</sup>.

وإن كلامه حادث فردا قديم نوعا، يقول في كتابه رسالة في صفة الكلام ص 51.  
 إنه ينادى ويتكلم بصوت، ولا يلزم من ذلك قدم صوت معين، وإذا كان قد تكلم  
 بالتوراة والقرآن والإنجيل بمشيئته وقدرته، لم يمنع أن يتكلم بالباء قبل السين، وإن  
 كان نوع الباء والسين قديما، لم يستلزم أن تكون الباء المعينة والسين المعينة  
 قديمة، لما علم من الفرق بين النوع والعين.

يعنى أن اللفظ صدر منه تعالى بالحرف والصوت فيكون حادثا، لأن لكل حرف  
 بدءا ونهاية، وأولاً وآخر، وكل حرف مسبوق بما قبله، والمسبوق بعينه حادث،  
 لأنه لم يكن موجودا قبل التلفظ به.

لكن ما من لفظ إلا وقبله لفظ صدر منه، وما من حرف إلا وحرف سبق عليه إلى  
 ما لا أول له، فيكون حادثا بالفرد، قديما بالنوع قال الإمام أحمد بن حنبل: "لم  
 يزل الله متكلماً"

وهذا يدل سعد ابن تيمية - على قيام الحوادث بالله، لأن الله حين يقول للشقيء  
 الملعون ((كن)) يتكلم بحرف وبنون بعد أن كان صامتا، وحين ينادى عبده يستلفظ  
 به ((ماذا أجبت المرسلين))<sup>2</sup>

وحين أوحى بكتابه لجبريل - عليه السلام - سمعه جبريل يستلفظ بكلماته مرتبة  
 الواحدة بعد الأخرى، وترتيبها لا يدل على حدوثها؛ لأن كلام الله قديم، يتكلم به في  
 وقت معين بعد أن لم يكن متكلماً.

<sup>1</sup> مجموع الفتاوى 154,6

<sup>2</sup> أنظر شرح المفيدة الأصولية لابن تيمية 69-70، مجموع الفتاوى 224,6

بقول ابن تيمية:

فإن قلتم لب: فقد قلتم بقيام الحوادث بالرب، قلنا لكم نعم، وهذا قول الذي مل عليه الشرع والعقل<sup>1</sup>، وأمر به السلف وأئمة الحديث<sup>2</sup>، لأن الكلام صفة كمال لا صفة نقص، ومن تكلم بمثبية اكمل ممن لا يتكلم بمثبية، فكيف ينصف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق<sup>3</sup>.

## التقويم

سنعرض هذه الفتاوى والأحكام من ناحيتين:

1. من حيث التحليل.
2. من حيث النص.

## من حيث التحليل

يعتبر تحليله غير مسلم، لأنه لا وجود لنوع إلا في ضمن أفراد، فإذا كانت الأفراد حادثة كن النوع حادثاً؛ لأنه حين يكون كل فرد مسيوفا بالعم يكون الكل كذلك، فلا وجود للكل إلا في ضمن جزئياته.

والحملة ليست شيئاً كثر من الأفراد مجمعة، وإنما هي فرد واحد من ذلك حدوث الحملة قطع، فكل ما يعتبر وصفاً للأفراد جمعاً يسمى وصفاً لشيء، فإذا كان كل رجي اسود كان الكل أسود ضرورياً، وإن كان كل رجي أحمر، فكل من الجميع باحمر بلا شك، كذلك الأمر في "الحدود" و"العدل" وإن كان كل حرف

<sup>1</sup> منهاج السنة 1، 224.

<sup>2</sup> مجموع الفتاوى 6، 324.

<sup>3</sup> لمراجع السابق، الجزء 3، الصفحة 44، 45.

ولفظ صدر من الله حادثاً، كان كلامه كله حادثاً فرداً و نوعاً، مما يدل على أن هذا الكلام الملعوط ليس صفته الذاتية؛ لأن صفاته الذاتية اولية قديمة لا بداية لها قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْمَذَاحُ فِي الْقُرْآنِ فَأَنذَرْتُكُمْ يَوْمَ الْبُرْجِ﴾ فكلية ﴿أُنزِلَ﴾ عبرت عن حدوث ألفاظه مرتين: مرة بتركيبها، ومرة بمادتها.

وأصل العبارة: أنزل الله القرآن، فالفعل، فاعل، والقرآن مفعول، والفعل غير المفعول، فريد غير عمرو دانا وصفاتاً في قولك: صرب ريد عمروا، فالقرآن غير الله<sup>٢</sup> في قولك: أنزل الله القرآن.

ومعلوم أن الله وحده منفرد بصفة القدم، لا يشاركه غيره فيه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كان الله ولم يكن شيء غيره))<sup>٣</sup>

ومادة ((أنزل)) تدل على الحدث أيضاً لأنه لو كانت هذه العبارات والجمل والحروب هي الصفة القديمة لما وصفت بالإنزال، كما أن صفة القدرة لا توصف بالإنزال، والصفات لا تعارق الموصوف، ولا تقوم بنفسها<sup>٤</sup>.

وورن ((مبارك)) يفتح الراء في الآية يصرح عن أن الله موقع البركة، والقرآن محلها، ويدل على أن القرآن غير الله، وغير الله حادث.

فإن قلت: قد اتفق المصنف على أن كلام الله قديم، فكيف تقول الأشعره بحدوثه؟ فالجواب: أن كلام الله يطلق على شيتين:

— الأولى على الصفة النفسية الذاتية التي ليست بحرف ولا صوت.

— والثانية على هذه الألفاظ للكتب المقدسة.

وهذه الألفاظ كما تقدم لها بدء وبهاية، وأول وآخر، وكل لفظ مسوق بما قبله، والمسوق بعمره حادث، لأنه لم يكن موجوداً قبل التلطف به، فلا يمكن أن يوصف بالقدم لا فرداً ولا نوعاً.

<sup>٢</sup> من 28

<sup>٣</sup> في القصة وما نقل عن بعض السلف من الإنكار على الحكم بالغيرية محصور على معديه منصفه بمن الله

<sup>٤</sup> البخاري المفتح 48,7

<sup>٥</sup> إقام الحجر

والقريبة على أن السلف يقصدون بوصف القتم الإطلاق الأول - وهو الصفة  
النفسية - ما صح عن الإمام أحمد، فيما جلوب به المتوكل وغيره كما هو مذكور  
في كتاب السنة وعبور التواريخ وغيرهما - أنه كان يقول: القرآن من علم الله،  
وعلم الله غير مخلوق، فالقرآن غير مخلوق.

فهذا دليل على أنه يريد بالقرآن ما هو قائم بالله<sup>1</sup>.

وكل الكون الحادث بما فيهم الكائنات والقارئ من علم الله، وعلم الله غير مخلوق،  
وأنت قديمان باعتبار وجودنا العلمي فسي ذات الله أزلا، وحادثان باعتبار  
وجودنا المادي والروحي.

تحليله يؤدي إلى أمور باطلة، لأن القائم بذات الله لا يخلو إما أن يكون أفراد  
حوادث أو جسماء، فإن كان أفراد الحوادث استلزم ذلك حدوث الله، لأن ما لا  
يخلو عن الحوادث حادث، وهذا ما يقر به ابن تيمية، يقول في منهاجه. وأما تلك  
نقطة الفائلة أن ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، فهي صحيحة، إن أريد أفراد  
تحوادث وأفرادها المتعاقبة في الوجود<sup>2</sup>.

وإن كان يقصد جنس الحوادث يناقص نفسه؛ لأنه يقول بقيام الحوادث<sup>3</sup> بذات الله،  
ويقول بأن القائم به الجنس القديم، أي أن القول بأن القائم به شيء حادث يتناقض  
مع القول بأن القائم به قديم.

ولقائم بذات الله إن كان بمشيتته فيعني هذا أنه لم يكن موجودا ثم وجد لضرورة  
سبب الاختيار له، وعليه فيكون الجنس حادثا قديما، وهو ما لا يجوز، لأن  
التقيصين لا يجتمعان.

وإن لم يكن بمشيتته دل على سلب الاختيار عن الله عز وجل، وسلب لاختيار عن  
الله محال<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> تكملة السيف المنفل 197-198

<sup>2</sup> منهاج السنة 118,1-119

<sup>3</sup> وعلى قصد هذا يكون الجنس حادثا، لأنه يقر بوصف الله بالحوادث، ولا يقصد الأفراد فلم يبق إلا الجنس

وأنوع فيكون الجنس قديما حادثا

<sup>4</sup> ابن تيمية ليس سلبا 153-154

وإذا كان تحليله باطلا، فلا يكون وصف الله بأنه يتكلم باللفظ مرتبة من صفات  
اكمال، لأنه يؤدي حكم سلف - أما إلى القول بحدوث الله، وإما إلى القول بسلب  
الاحتبار عنه.

يقول ابن تيمية: ولهذا كان من الكمالات ما هو كمال للمخلوق، وهو نقص بالنسبة  
إلى الخالق، وهو كل ما كان مستلزما لا مكان العدم عليه للمنافى لوجوبه  
وقيوميته، أو مستلزما للحدوث للمنافى لقمة<sup>1</sup>.

تحليله يؤدي إلى الناقص، وأقواله السابعة بجرم فيها بأن الله حين يتكلم بالقرآن  
وغيره يتكلم بصوت وحرف، وما تكلم به فهو قائم به  
وأقواله في فتاويه تعارض هذا أو تبعه، وتعت قائله بأنه من أهل البدع، يقول ابن  
تيمية في فتاويه:

وأما قولهم، ولا يقول. إن كلام الله حرف وصوت قائم به، بل هو معنى قائم بذاته،  
فقد قلت في الجواب المختصر النبيهي ليس في كلامي هذا أيضا ولا قلته قط بل  
قول الدل إن القرآن حرف وصوت قائم به بدعة، وقوله: إنه معنى قائم به  
بدعة. لم يقل أحد من السلف لا هذا ولا هذا، وأنا لست في كلامي شيء من البدع،  
بل في كلامي ما أجمع عليه السلف<sup>2</sup>.

وما يقوله ابن تيمية في هذه الفتوى يوافق ما جاء في مجلس استقائه الذي حضره  
أئمة وعلماء ذلك الزمان، والذي كتب فيه بخط يده ما نصه.  
الحمد لله.

الذي اعتقده أن في القرآن معنى قائم بذات الله، وهو صفة من صفات ذاته  
القديمة الأزلية، وهو غير مخلوق، وليس بحرف ولا صوت، وليس هو حلا  
في مخلوق أصلا، ولا ورق ولا حبر ولا غير ذلك وكل من يخالف هذا  
الاعتقاد فهو باطل. وكل ما في خطي أو لفظي مما يخالف ذلك فهو

<sup>1</sup> مجموع الفتاوى 87,6

<sup>2</sup> مجموع الفتاوى 30,5

باطل، وكل ما في ذلك مع فيه إضلال الخلق، أو نسبة ما لا يليق به إليه، فأب برئ منه، فقد تبرأت منه، وتائب إلى الله من كل ما خالفه كتبه أحمد بن تيمية، وذلك يوم الخميس سادس شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعمائة.

وكل ما كتبه في هذه الورقة، فأنا مختار في ذلك غير مكره. كتبه أحمد بن تيمية.

صلى الله ونعم الوكيل.

وبآخر هذا المكتوب رسوم شهادات الأئمة:

• كتب المذكور بحظه أعلاه بحصوري واعترافي: أحمد بن الرفعة.

[ وأحمد بن الرفعة هذا له كتاب المطلب العالي في شرح وسيط العراقي في أربعين مجلدا ]

• أقر بذلك كتبه عبدالعزیز النمراوى.

• أقر بذلك كله بتاريخه. على بن محمد الباجي الشافعي.

• جرى ذلك بحصوري في تاريخه. الحسن أحمد بن محمد الحسيني.

• كتب المذكور أعلاه بحظه واعتز به عبدالله بن جماعة.

فعلى أي فتوى سيعتمد، وأي عقيدة يا ترى سيعتقد؟ هل نعتقد أن الله صوتا كما جاء في الفتوى الأولى الموثقة في كثير من كتبه، والتي قال فيها إنها تستند إلى

<sup>1</sup> وقعت لابن تيمية مجالس متعددة، حاور فيها العلماء، وأقر فيها بحصوه، وتاب عنه، ثم رجع إليه، وصار شهر من حاوره.

العلامة كمال الدين الزمكاني نظره فأثمه.

فعنه محمد بن عمر بن مكي صدر الدين المرحوم الذي قال عنه الذبح المسمى في صفاته الكسوى 216 ربه مع ابن تيمية المدعو ابن الحبيب، وبه حصص عليه المنصب من شيخ بن حبيب وهو فيه هو جيد عنه منجبه هذه الاستدلال في نجم مهدي وأهمل المخطوط محفوظ بمخطبه وأهله بباريس تحت رقم 6128

تكملة السيف المستقل 94-95، التوحيق الزيتوني 38-40

القرآن والسنة والإجماع<sup>١</sup> أم على الفتوى الثانية التي تقول: إن من يقول بـ"الفتوى الأولى مبتدع صالح؟

والمسألة مسألة عقيدة، ومن شأن العقيدة الثبات والوضوح، ومن مبرراتها أنها لا تحلها أزمة ساذجة ولا اضطهاد بشري.

فمن ماذا يعبر هذا التناقض؟ وما الذي يدل عليه هذا التباين؟ ويشير إليه هذا الانتقال من قول إلى قول؟

سأرجع في إجابة هذه الأسئلة إلى ابن تيمية نفسه، فهو أدرى بنفسه من غيري،

**بقول ابن تيمية:**

إنك تجد أهل الكلام أكثر الناس انتقالاً من قول إلى قول، وجرماً بالقول في موضع، وجرماً بقبضه وتكفير قائله في موضع آخر.

وهذا دليل على عدم اليقين، فإن الإيمان كما قال فيه قيصر لما سأل أبا سفيان، عمر أسلم مع النبي -صلى الله عليه وسلم-، هل يرجع أحد منهم عن دينه سخطه له بعد أن يدخل فيه؟ قال: لا.

قال: وكذلك الإيمان إذا حالط بشائسته القلوب لا يمحطه أحد.

ولهذا قال بعض السلف -عمر بن عبد العزيز أو غيره- من جحد دينه عرصاً للخصومات أكثر التنقل.

وأما أهل السنة والحديث فما يعلم أحد من علمائهم ولا صالح عامهم يرجع قط عن قوله واعتقاده<sup>١</sup>.

وبقول ابن تيمية أيضاً في تعليل أسباب التناقض في معرض حديثه في الرد على أحد العلماء وهو مناقض في عمدة ما يقوله، يقرر هذا ثم يخصصه في موضع آخر، لأن المواد العقلية التي كان سطر فيها من كلام ابن تيمية بعد أن يعمود عند السلف، ومن كلام الفلاسفة الخارجين عن الملّة، يضمّن على كلامه بطلان

<sup>١</sup> مجموع الفتاوى 50،4

كلام هؤلاء وكلام هؤلاء- فيقرر كلام طائفة بما يقرر به، ثم يفضيه في موضع آخر بما ينقض به<sup>1</sup>.

#### وخلاصة هذه النقول :

أ. أن ابن تيمية ليس من أهل اليقين في هذه العقيدة، لوجود السفل فيها من الضد إلى الصدد.

ب. لأبشبه الصحابة والسلف في الثبات على العقيدة

ج. جعل فيه غرضا للحصومات، فوجت عنده ظاهرة النفل من عقيدة إلى عقيدة.

د. أن عقيدته في التقدم النوعي التي سبق الحديث عنها، وسبق بيان مخالفتها للنصوص الدينية من كلام الفلاسفة الخارجيين عن الملة

٤. تحليل ابن تيمية لا يعتمد الصدق في الاسناد؛ فقد قال بقيام الحوادث بالله، وبسبب هذا القول إلى السلف الصالح وأئمة الحديث، مع أن أول من ابتدع هذا القول الكرامية-المجسمة- أتباع محمد بن كرام، يقول الإمام الإسفراييني في بيان مذهبهم:

ومما ابتدعوه من الصلوات مما لم يتجاسر على إطلاقه قائلهم واحد من الأمم لعلمهم بأفئصاحه، هو قولهم بن معبودهم محل الحوادث، تحت في ذاته أقواله ورائته<sup>2</sup>

وبقول الشيخ هراس من أتباع ابن تيمية في كتابه ابن تيمية السلفي

وحور قيام الحوادث بذاته سبحانه الكرامية ونعمهم ابن تيمية في مجويز قيام الحوادث بالذات، وعلا في مذبذبة هذا المذهب والنفاق عنه ضد مخالفيه من

<sup>1</sup> المرجع السابق والجزء ٤٠٢

<sup>2</sup> التصوير في الدين ٤٠٦

المتكلمين والفلاسفة، وادعى أنه هو مذهب السلف مستلّا بقول الإمام أحمد وغيره،  
لم يرل الله متكلمًا إذا شاء<sup>1</sup>.

وعما يبطل نسبة الإرادات المتحددة وقيام الحوادث لله للإمام أحمد، ما قاله أبو  
الفصل التميمي في كتابه "اعتقاد الإمام أحمد" - رغب أحمد بن حنبل - رضي الله  
عنه إلى أن الله عز وجل يعصب ويرضي، وأن له عصبا ورصدا، وقرأ أحمد  
قوله عز وجل:

﴿وَلَا تَطْعَمُوا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ عَصِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضِي فَقَدْ هَوَى﴾<sup>2</sup>  
وأصاب العصب إلى نفسه.

وقال عز وجل: ﴿فَلَمَّا آتَمَوْا أَنْتَقِمَا مِنْهُمْ﴾<sup>3</sup> الآية  
قال ابن عباس: يعنى أغضبونا.

وقوله أيضا: ﴿فَجَرَّاهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَعَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾<sup>4</sup>.  
ومثل ذلك في القرآن الكريم كثير.

والعصب والرصا صفتان له من صفات نفسه، لم يرل الله تعالى غاصبا على ما  
سبق في علمه أن يكون مما يعصيه، ولم يرل راصيا على ما سبق في العلم أنه  
يكون مما يرضيه<sup>5</sup>.

وقول الإمام هذا:

— يعنى حدوث صفة الله، فليس له عصب حادث، ولا رص حادث، وإما هو عصب  
أر لا نرى من علم أنه سبحانه، راص أر لا على من علم أنه سيرة.

- يرى الإمام أحمد - رضي الله عنه - صراحة من عقيدة قيام الحوادث لله

<sup>1</sup> 133 134

<sup>2</sup> طه 81

<sup>3</sup> الزخرف 55

<sup>4</sup> النساء 93

<sup>5</sup> المقالات نسبة 77 في المراجع

— يدين ابن تيمية الذي نسب هذه العقيدة إلى الإمام مع أنه براء منها.  
يقول المحدث الكوثري: نسنة القول بقيام الفعل الحادث بالله سبحانه إلى أحمد،  
وجعفر الصادق، وابن عباس - رضي الله عنهم - نسبة خاطئة غير صحيحة<sup>1</sup>

— يصعب الثقة بفتاوى ابن تيمية وبمصاديقه في النقل، يقول المحدث الهرري: لا  
يعتر مطالع كتبه نسبة هذا الرأي إلى أئمة أهل السنة، وذلك لأنه أن يسمي رأيه  
الذي يراه ويهواه إلى أئمة أهل السنة<sup>2</sup>.

5. تحليله السابق يجعل الله في قائمة المتحليين من حيث الأداء الصوتي، فصوته يشبه  
الصواعق التي قال الله فيها:

﴿يَجْعَلُونَ أَصْوَعًا فِي آدَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذِرَ الْمَوْتِ﴾<sup>3</sup>

﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>4</sup>

﴿إِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَثَمُودَ﴾<sup>5</sup>

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا سمع الرعد والصواعق قال: ((اللهم  
لا تقتلنا بعصيك ولا تهلكنا بعدايك))<sup>6</sup> ويجعل صوت البشر العاديين أفضل من  
صوت الله، بل يجعل صوت الحيوانات كالعنابل والقمارى أفضل من صوت  
البارى، لأن أصواتها مستطابة، مستندة، موروثة، متناسبة المطالع والمقاطع.

أليس جمال الصوت صفة كمال لا صفة نقص؟ ومن تكلم بصوت جميل كان أكمل  
ممن لا يتكلم بصوت جميل؟ فكيف يتصف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق؟  
وكان الواجب على ابن تيمية أن يبحث ويتأمل في حديث الصواعق الذي جاء فيه  
((أن الله كلم موسى بصوت يشبه صوت الصواعق)) متنا وسندا.

<sup>1</sup> بنسب تكملة السيف الصغير 71

<sup>2</sup> مقالات السنة 96

<sup>3</sup> بقرة 18

<sup>4</sup> الرعد 14

<sup>5</sup> فصلت 12

<sup>6</sup> مسند الإمام أحمد 15، 20 ووصف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرعد بأنه ينطق خمس النطق بمعنى  
في مضمومه بالسيح والكبير - الدر المنثور 58، 4 ((قال لمبدي يقول فتى هي احسن))

فمنه مخالف لنصوص القرآن: «لن كمثله شيء»<sup>1</sup> «ولم يكن له كفواً أحد»<sup>2</sup> مما يؤكد عدم صحة الحديث. وقد ذكره ابن الحوري في الموضوعات، وبطل ذلك عنه السيوطي في كتابه [الآل في الموضوعات في الأحاديث الموضوعية 12، 1].

وقد أكد العلامة المحدث الكوثري القول بوضعه في الرد على نوبة ابن القيم، وقال في مقالاته: لم يصح في سبب الصوت به حديث<sup>3</sup>

عقيدته في سبب الصوت إلى الله تشبه عقيدة اليهود الذين حرفوا كلام عن موضعه في اللفظ والمعنى، سواء هذا في مقالاته، أو في المراجع التي بحثت على قرائنها، ككتاب التوحيد لابن حريمة الذي يصفه بأنه إمام الأئمة<sup>4</sup>.

جاء في كتاب التوحيد لابن حريمة ص 146: «إِذَا سَمِعُوا صَوْتَهُ صَعَقُوا مِنْ عَظَمَةِ الصَّوْتِ وَشَدَّتِهِ».

— جاء في سفر التثنية الاصحاح 5 الآية 24: «إِن عَدْنَا نَسْمَعُ صَوْتَ الرَّبِّ إِلَهِنَا أَيْضاً نَمُوتُ».

— جاء في كتاب التوحيد لابن حريمة 137: «فَعَلِمَ أَنَّهُ -أَيَّ اللَّهِ- كَلَّمَ بَعْضَهُمْ فَيَسْمَعُ كَلَامَهُ وَلَا يَرَى مُخَصَّصَهُ».

— جاء في سفر التثنية الاصحاح 4 الآية 12: «فَتَكَلَّمَ الرَّبُّ مِنْ وَسْطِ النَّارِ، وَاسْتَمَعَ سَامِعُونَ صَوْتَ كَلَامٍ، وَلَكِنْ لَمْ تَرَوْا صُورَةً بَلْ صَوْتًا».

— يقول ابن تيمية في شرح العقيدة الواسطية ص 96: «وَاللَّهُ سَبَّحَانَهُ نَادَى دَمَ وَحْوَاءَ بِصَوْتٍ».

— جاء في سفر التكوين الاصحاح 3 الآيات 8-10: «وَسَمِعَا -إِسْمَ وَحْوَاءَ- صَوْتَ الْإِلَهِ مُشَايَا فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَا: إِسْمُ سَمِعْتَ صَوْتَ».

<sup>1</sup> الثوري

<sup>2</sup> الصمد

<sup>3</sup> مقالات الكوثري 28

<sup>4</sup> بلزوم من أنه يقر على نفسه أنه لا يفهم علم الكلام

—

يقول ابن تيمية في شرح العقيدة الواسطية 96. والله سبحانه نادى موسى بصوت جاء مثله في سفر الحروج الإصحاح 19 الآية 19: موسى يتكلم، والله يحييه بصوت

—

يقول ابن حريمة في كتاب التوحيد 146: يسمعون صوته عز وجل بالتوحي قويا، له رنين وصلصلة.

ويقول سفر أيوب الإصحاح 37 الآيات 2 6. الله يرعد بصوته عجبا. ويلاحظ في هذه الأقوال التقارب في اللفظ والمعنى والعقيدة، وإذا علمنا ما يقوله أئمة الحديث من أن الأحاديث التي تنسب للصوت لله مباشرة أحاديث غير صحيحة<sup>1</sup>، علمنا مصدر الوصف، ونوع الأيدي الأئمة الممتدة إليها.

7

إذا أحدا بفحليل ابن تيمية لكلمة الإمام أحمد بن حنبل لم يرل الله متكلم إن شاء أن الله لم يرل بكلم أحدا من خلقه مد القدم، ولا بداية لهذا التكليم، فبعض هذا أنه لا بداية لوجود المخلوقات؛ لأن صفة التكليم متوقفة على وجود أحد بكلمه.

وهذا ما لا يقره عليه أحد لمخالفته الإجماع والنصوص السنية:

يقول ابن حزم في كتابه مراتب الإجماع في إيجاب الإجماع في الاعترافات بكثر من حاله بإجماع]. اتفقوا على أن الله عز وجل وحده لا شريك له، خالق كل شيء، وأنه تعالى لم يرل وحده، ولا شيء غيره معه، ثم خلق الأشياء كلها كما شاء.

ويقول الألباني في شرحه المختصر للعقيدة الطحاوية ص 39

العلماء اتفقوا على أن هنالك أول مخلوق، والقائلون بحوادث لا أول لها مخالفون لهذا الاتفاق؛ لأنهم يصرحون بأن ما من مخلوق إلا وقبله مخلوق، وهكذا إلى ما لا أول له، كما صرح بذلك ابن تيمية في بعض كتبه.

قال جلال الدين الداوودي<sup>2</sup> - رحمه الله تعالى - في شرح العصيدة: وقد رأيت في تأليف لأبي العباس أحمد بن تيمية القول بالقدم الجسمي في العرش<sup>3</sup>

<sup>1</sup> الأحاديث المصححة التي يمكن بها أن تسمية على ثبوت الصوت له ليس فيها - من غير نيات الصوت له وسبقا قويا تحويها.

<sup>2</sup> وثقه فحفظ السخاوي في قدير الطالع.

<sup>3</sup> المقالات السنية 67

ويعنى هذا أنه لا بداية للعرش موعداً لأنه ما من عرش حيث لا وفائه عرش  
 مثله سابق عليه إلى ما لا بداية في الأولية.  
 واعتقاده هذا يخالف به قوله صلى الله عليه وسلم ((كن لله ولم يكن شيء  
 غيره))<sup>1</sup>

فإنه هو الموجود للمعزود وحده بالوجود في الأزل، قال الله تعالى: (أهو الأول)<sup>2</sup>  
 وابن تيمية هنا بين خيارين:

### الخيار الأول

أن يؤمن كف أمر غيره من العلماء بأنه كان الله ولم يكن شيء معه  
 وإذا أمر عرف أن قصد الإمام أحمد بقوله أن الله لم يرل منكلماً إن شاء الصفة  
 النفسية الدنية العقيمة، فهو متصف بصفة الكلام أو لا قبل أن يكلم الرسل، كما هو  
 متصف بصفة الحق قبل أن يحلفهم، كما صرح بذلك غلام الحلال من قدماء  
 الحنابلة في المقنع<sup>3</sup>.

وهذا القول منسجم مع قول الإمام الطحاوى الذى يقول فيه عقيدة السلف وأقوالهم:  
 ما زال بصفاته قسيماً قبل خلق الخلق ليس بعد خلق الخلق استغاد اسم الخالق،  
 ولا بإحداثه البرية استغاد اسم البارئ<sup>4</sup>.

فهو منذ الأزل موصوف بأوصاف الكمال؛ فهو لم يرل حالقاً إن شاء قبل أن يخلق  
 الخلق، ولم يرل محيياً إن شاء قبل أن يهدم الحياة، ولم يرل بارئاً إن شاء قبل أن  
 يصورهم كيف شاء، ولم يرل منكلماً إن شاء، أي له صفة التكليم قبل أن يوجد أحد  
 يكلمه.

وإذا دل قول الإمام أحمد على الصفة الدنية العقيمة بطل الاستدلال به على قيام  
 الحوائث بأنه سبحانه، لعدم دلالة على تجدد الكلام في الذات الإلهية مرة بعد

<sup>1</sup> البحارى - العيسى - 213.7

<sup>2</sup> الحديد 3

<sup>3</sup> تكملة شريف الصغول 80

<sup>4</sup> العقيدة الطحاوية - الطهرى - 36-37

أخرى ألا، وانتهى الاعتماد عليه في قدم الألفاظ نوعاً، فليس هناك لفظ قبله لفظ صدر منه إلى ما لا نهاية، لعدم وجود من يحاطب في الأول

### الخيار الثاني

أو يؤمن بأن العرش حادث فهدا قديم نوعاً، لا بداية لنوعه، فيصطدم بالحديث الشريف السابق الذي يدل على أن العرش لم يكن موجوداً فكيف يكون قديماً ((كان الله ولم يكن شيء غيره))<sup>1</sup>.

ولا يفعه ترجيحه لرواية ((كان الله ولم يكن شيء قبله))<sup>2</sup> التي قل عدد ابن تيمية على نفي تقدم الحوادث على الله فقط دون دلالة على نفي معارضة له -أي أن الحديث عنده نفي تقدم شيء عن الله، ولم ينف أن يكون شيء قديماً كالله لا يفعه هذا الترجيح بلا مرجح، ولا يملأ له -:

أ. أن الروايات الأخرى المتعددة لنفس القصة<sup>3</sup> صريحة في نفي مقارنة أي موجود لله في القدم:

((كان الله ولم يكن شيء غيره))

((كان الله ولم يكن شيء معه))

((كان الله قبل كل شيء))<sup>4</sup>

والمطوق الصريح مقدم في الاستدلال على المحتمل

و لأحاديث التي يؤمن بها ابن تيمية ويحتج بها تدل بوضوح على تحق العرش على الماء، وعلى عدم وجوده في زمن ما:

<sup>1</sup> البخاري-المعنى-213,7

<sup>2</sup> البخاري-المعنى-172,4

<sup>3</sup> لأنها وردت اجابة لسؤال أهل اليمن للنبى صلى الله عليه وسلم - عن بدء الحق

<sup>4</sup> نظر فتح الباري 181,17

— جاء في مسند الإمام أحمد عن أبي الرزير الغفلي أنه قال: يا رسول الله، أين كان ربنا عز وجل قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال: ((كان في عواء، ما فوقه هواء، وما تحته هواء. ثم خلق عرشه على الماء))<sup>1</sup>.

وفي الترمذي "أن الماء خلق قبل العرش".

— وروى السدي في تفسيره بأسانيد متعددة أن الله لم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء<sup>2</sup>. ولاقادات الصريحة الواضحة المنعقدة أقوى من الطر الواحد المحتمل في معناه وفي ثبوته، والعمل بالأقوى واجب لكونه أقرب إلى القطع<sup>3</sup>.

هذا كله من مايرى من تيمية في فقرته المخالفة للإجماع؛ لأن التعامل مع النصوص لا ينجأ فيه الباحث إلى الترجيح إلا بعد العجز عن الجمع بين الأدلة، يقول الحافظ ابن حجر عن الحديث الذي استدل به ابن تيمية "كان الله ولم يكن شيء قبله" تقدم في بدء الخلق بلفظ "ولم يكن شيء غيره" وهي أصرح في الرد على من أثبت حوادث لا أول لها من رواية الباب يعني حديث "كان الله ولم يكن شيء قبله" وهي من مستنقع المسائل المنسوبة لابن تيمية، ووقفت في كلام له على هذا الحديث يرجح الرواية التي في هذا الباب على غيرها، مع أن قصصية الجمع تقتضي حمل هذه [كان الله ولم يكن شيء قبله] على التي في بدء الخلق [كان الله ولم يكن شيء غيره] والجمع يقدم على الترجيح بالاتفاق<sup>4</sup>.

يقصد أن الراوي للحديث [كان الله ولم يكن شيء قبله] يقصد ما يقصده باقي الرواة المعبرين عن نفس الموضوع، بأنه كان الله ولم يكن شيء غيره، والقريضة التي تدل على قصده:

---

<sup>1</sup> مسند الإمام أحمد الفتح 4 320 هذا الحديث لا يسم به الأشاعرة لأن في مسند حماد من سنده محتلط، وكان يحدس رويته في حديثه ما شاء، ويعني من عطاء في مسنده تقرب به عن وكيع بن حنين أو عاص وهو مجهول الضعف، وهو تقرب به عن أبي رزير، ولا شيء سخره له وتوجد في كتب تصانيفه قصة عن المجاهيل وعين به اختلاط تكملة السيف 109

<sup>2</sup> فتح الباري 7 98. العيني عن البحري 4 7 2. عاصم بن عيسى عن مسدد بن حماد 3

<sup>3</sup> نهاية السؤل 172,3

<sup>4</sup> فتح قهارى 17, 181

(1) أن روايته بدأت بالسؤال عن بدء الخلق وأول الأمر "جنتاك" لسؤالك عن أول هذا الأمر".<sup>1</sup>

والواجب على قارئ النص الالتفات إلى أول الكلام وأخره وما اقتضاه الحال، لا ينظر في أوله سور آخره، ولا في آخره سور أوله حتى يبين له المراد، بقول من تيمية التأويل المقبول هو ما دل على مراد المتكلم<sup>2</sup>

(2) أن راويه وهو الصحابي الجليل عمران بن حصير رضي الله عنه صرح بقصده في رواية أخرى، بما يعبر على أن لجميع هذا الكون بداية، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا أهل اليمن اقبلوا بشرى إذ لم يفلح بسو تميم))، قالوا: قلنا، قال عمران بن حصير: فأحد النبي صلى الله عليه وسلم يحدث بدء الخلق والعرش<sup>3</sup> أي عن بدء الخلق والعرش وما يفيد هذا الحديث هو ما يؤمن به السلف الصالح، قال الإمام الطحاوي في عقيدته التي يعبر بها عن عقيدة السلف وأقوالهم:

"ما رآل بصفاته قديما قبل خلق الخلق" ليس بعد خلق استناد اسم الخالق. ولا بإحداثه البرية استناد اسم الباري<sup>4</sup>

ومصمون كلامهم أنه لم يكن شيء مع الله، والسلف بما فيهم عمران بن حصير رضي الله عنهم - أعلم بأقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وأخرى بدلالات كلامه من ابن تيمية.

ب. لأن فهمه بأن العرش حادث فردا قديم نوعا، وأن نوعه يشارك الله في الأولوية والقدم، يؤدي به إلى التهاافت<sup>5</sup>، لأنه حين يكون كل فرد مسبوقا بالعدم، يكون الكل كذلك، أي مسبوقا بالعدم؛ لأنه لا وجود للنوع إلا في صمن أفراد كم تقدم.

<sup>1</sup> البخاري - المندى - 172,4

<sup>2</sup> دره اقتراض - 201,1

<sup>3</sup> البخاري - الميمى - 212,7

<sup>4</sup> العقيدة الطحاوية - الهرري - 36-37

<sup>5</sup> الشريعة ليس فيها باطل ولا نذل عليه ولا يثنيه ليطل من بين يديه ولا من خلفه تدرين من حكيم حميد

فليست الجملة شيئاً أكثر من الأفراد مجتمعة، فإذا كان كل فرد حادثاً، لزم من ذلك حدوث الجملة قطعاً<sup>1</sup>.

ومعنى كون الكل حادثاً أنه مسبوق بالعدم، وأن الله كان ولم يكن شيء غيره.

8 إن تحديد ابن تيمية للفرق بين صوت الله وصوت البشر، بأن صوت الله يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب<sup>2</sup>، لم يعد اليوم يقع أحداً، بعد ما أدت نتائج النقيضة والعلم الحديث إلى أن أصوات المخلوقات كذلك، تسمع من قرب ومن بعد، بواسطة الهاتف والإذاعة المرئية والمسموعة

فإن قلت إن هذه المشابهة جاءت بواسطة الآلات بخلاف صوت الله القوي بداته:

فالجواب:

- (1) أن ابن تيمية حدد الفرق بانفراد الله بالإسماع من بعد ومن قرب.
- (2) أن من المخلوقات من يسمع بنفسه من بعد ومن قرب بلا واسطة، كجبريل الذي صاح صيحة في ثمود سمعها كل أهل ثمود، وكالميت حين يوضع على السرير - النعش - فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلان.



<sup>1</sup> انظر ما تقدم من التكوين في بداية التحليل رقم 1

<sup>2</sup> شرح العقيدة الصغرى 28

## التقويم من حيث النص

جعل ابن نيمية مستنده في إثبات عقيدة الصوت لله القرآن الكريم والسنة النبوية.

### 1. القرآن الكريم

استدل ابن نيمية بقوله تعالى «وَنَادِيَاهُ مِنْ حَاسِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ»<sup>1</sup> الذي يدل عليه على أنه يتكلم بحروف وألفاظ وصوت<sup>2</sup>، لأنه لا يصح في العقل ساء غير مسموع لنا، ولا يسمع إلا الصوت.

#### الجواب:

هذا النص وغيره من النصوص التي استند إليها ابن نيمية، لا تثبت ما يريد إثباته عن طريقه، فالسوء طلب الإقفل عند النجاة واللعيون، وطب الإقبال عند البشر مشروط فيه الصوت واللفظ والحرف، لكن ما النبيل على أن ساء لله كذلك يشترط فيه اللفظ والصوت، والله ليس كمثله شيء وعقيدة السلف أهل اللغة أن الله لا يشبه مخلوقاته، فلا يتكلم بحرف، ولا يقول بلفظ كعادة البشر:

يقول الصحابي الجليل علي بن أبي طالب: كرم الله وجهه: إن الله كلم موسى - عليه السلام - بلا جوارح، ولا أنوات، ولا حروف، ولا شفه، ولا لهوات، سبحانه عن تكيف المصنفات.

#### ويقول:

أمر بلا حروف، قائل لا بألفاظ<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> مجموع الفتاوى 531، 6

<sup>2</sup> المرجع السابق والجزء 532

<sup>3</sup> الإنصاف لابن القيم 90 ابن نيمية لوس مغلها 69-70

- ويقول الإمام أبو حنيفة في كتابه الفقه الكبير ص 51: الله تعالى يتكلم بلا الة ولا حروف، والحروف مخلوقة، وكلام الله تعالى غير مخلوق.

- ويقول الجنيد - من أئمة التصوف السابقين : جلت ذاته عن الحدود، وجلّ كلامه عن الحروف، فلا حد لذاته، ولا حروف لكلامه<sup>1</sup> والجنيد إمام هدي كما قال ابن تيمية<sup>2</sup>.

وهذه الأقوال تنطّل دعوى الإجماع في قول ابن تيمية: إن الله تكلم بالقرآن بحروقه ومعانيه بصوت نفسه، كما ثبت بالكتاب والسنة والإجماع<sup>3</sup>

فأين هذا الإجماع الذي لكده ابن تيمية ؟

ثم إن تحليله للنص القرآني يخالف منهجه الذي يبده في فتاويه، والذي يص فيه على ((أن السلف كانوا يراعون لفظ القرآن والحديث فيما يثبتونه))<sup>4</sup> ولو رعاها لقال. نادى الله موسى ولم يرد، بدون بحث في الكيفية.

فهو قد خالف منهجه، وخالف عقيدته التي يؤمن بها ((أن صوت الله يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب)) لأنه إذا كان نداء الله لموسى بصوته الذي يسمعه من بعد ومن قرب فلم اقتصر سماعه على موسى ؟

فإن أجاب بأن صوت الله يتفاوت قوة وضعفاً، ويرتفع ويخفض ويتعدد ويتنوع تتأقص مع قوله بأنه صوت لا كأصواتنا؛ لأن أصوات البشر هكذا تتفاوت وتتعدد وتنوع، والله يقول عن نفسه «ليس كمثله شيء»

وإن أجاب بأنني اعتمدت في هذا على الأحاديث، فليس في الأحاديث الصحيحة ما يثبت الصوت لله من أصله، والأحاديث الضعيفة والموضوعة لا يستدل بها في مجال العقيدة.

وأشهر الأحاديث التي استند إليها ابن تيمية في إثبات الصوت لله:

<sup>1</sup> الإنصاف 90

<sup>2</sup> مجموع الفتاوى 491.5

<sup>3</sup> مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية 3 154

<sup>4</sup> مجموع الفتاوى 432.5

١ - ما رَوَاهُ الثَّعَالِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ((يَقُولُ اللَّهُ بِأَمْرٍ، فَيَقُولُ لِنَبِيِّكَ وَسَمْعُكَ، فَيَسْمَعُ بِصَوْتٍ: إِنْ أَمَرَ بِأَمْرٍ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ مَرَاتِكَ نَعْتًا إِلَى النَّارِ))  
فَطَهَّرَ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ ابْنِ نَيْمَةَ بِأَنْ عَلَى أَنْ يَكُنْ صَوْتًا

وَنَاقِلُهُ هَذَا يَدْعُو إِلَى الْأَحَدِ بِالطَّاهِرِ مَعَ وَجُودِ الْقَرِيْبَةِ الصَّارِفَةِ عَنْهُ، وَهُوَ مَا لَا يَجُورُ فِي تَحْلِيلِ النُّصُوصِ، فَقَوْلُكَ ((رَأَيْتُ أَسَدًا يَخْطُبُ عَلَى الْمَسْرِ)) لَا يَجُورُ أَنْ يَقُولَ إِنْ الْمَقْصُودُ مِنْ لَفْظِ الْأَسَدِ فِيهِ الْحَيَوَانُ الْمَعْنَسَرُ، لَوْ جُودَ الْقَرِيْبَةِ الصَّارِفَةِ عَنْ هَذَا الْقَصْدِ، وَهِيَ ((يَخْطُبُ عَلَى الْمَسْرِ)) وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، فَجَمَلَةٌ ((إِنْ أَمَرَ بِأَمْرٍ)) قَرِيْبَةٌ صَارِفَةٌ عَنْ سَبَبِ الصَّوْتِ إِلَى اللَّهِ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ اللَّهُ هُوَ الْمُنَادِي بِصَوْتٍ لَقَالَ ((إِنِّي أَمْرُكَ)) مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُنَادِي مَلَكٌ أَمَرَ اللَّهَ، لِأَنَّ مَنْ يَخْبِرُ عَنْ غَيْرِهِ يَأْتِي بِاسْمِهِ الظَّاهِرِ.

يَقُولُ ابْنُ تَوْبَةِ، مُوجِبُ اللَّغَةِ الَّتِي بَهَا حَوَاطِبُنَا، أَنَّ صَمِيرَ الْمُتَكَلِّمِ لَا يَقُولُهُ إِلَّا الْمُتَكَلِّمُ، وَأَمَّا مَنْ أَخْبَرَ عَنْ غَيْرِهِ، فَبِمَا يَأْتِي بِاسْمِهِ الظَّاهِرِ إِنْ السُّلْطَانُ إِذَا أَمَرَ غَيْرَهُ أَنْ يَبَادِيَ أَوْ يَكَلِّمَ غَيْرَهُ أَوْ يَحَاطِبُهُ فَبِالْمُنَادِي يَبَادِي. مَعَاشِرُ الدَّائِرِ، أَمْرُ السُّلْطَانِ بِكَذَا<sup>٢</sup>.

وَهَذَا مَا أَوْصَحَهُ حَيْثُمَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي قَوْلِهِ: يَبَادِي مِنْذُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَخْرُجُ بَعَثُ النَّارِ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تَسْعَمَانَةِ وَتَسْعَوْنَ<sup>٣</sup> فَتَسْبِ الدَّاءُ لِلْمُنَادِي. وَالتَّعْبِيرُ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْمُنَادِي مِثْلَهُ تَتَّبَعِي فِي الْحَدِيثِ الَّذِي سَأَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَبْرِيلَ عَنْ تَأْوِيلِ آيَةِ «خُذِ الْعَمَلْ» فَقَالَ:

<sup>١</sup> فِي بَابِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى «وَلَا تَنْفَعُ أَسَدُهُ عَنْهُ لَا يَنْفَعُ» الثَّعَالِيُّ السُّنَنِيُّ 18١4

<sup>٢</sup> مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى 417,5

<sup>٣</sup> خَرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَقِيْقَةِ الْمَشْهُورَةِ ١٠٦6 وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى تَوْجِيهِهِ بِصَدِّ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ هُوَ أَنَّ كِلَانَ صَعْبَةً، فَالْحَقِيْقَةُ بِصَعْبَةٍ يَمْنَعُ فِي تَوْجِيهِهِ وَصْفَهُ ((أَنَّ عَنْ عَرٍّ وَجَمَلٍ يَبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَادِيًا يَدْعِي بِأَمْرٍ عَدِيمٍ مَرَّبٍ تَعَبَتْ مِنْ سَرِيَّةٍ فِي النَّارِ)) فَتَسْبِ الدَّاءِ أَحْمَدُ الْفَتْحُ 116,24 وَيَطْرُقُ كِتَابُ تَرْجُومَةِ شَرِيفِ مُحَمَّدِ بْنِ عَوْنِهِ الَّذِي يَتَّبِعُ اسْمِعَاتِهِ الْمُسَوِّفَ بِالْحَدِيثِ الْمُنْعَبِثِ فِي التَّوْجِيهِ.

حتى أسأل، فصعد، ثم برز، فقال. يا محمد، إن الله يأمرك أن تصفح عمر ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك))<sup>1</sup>

ومثابه لكثرة الذي أخرج ابن عساکر والواسطي عن يزيد بن جابر يصف إسرائيل على صحرة بيت المقدس، فيفخ في الصور، فيقول بأينها العظام النخرة، والجلود المنفرقة، والأشعار المنقطعة، إن الله يأمرك أن تجتمعني لقصل الحصاب<sup>2</sup>.

والقاعدة كما قال ابن تيمية - أن من يخبر عن غيره فإما يأتي بإسمه الطاهر، ولهذا علمنا أن المبادئ في الحديث ((فيأدى بصوت، إن الله يأمرك...)) ملك يخبر عن الله سبحانه.

## 2- حديث السلسلة

من الأحاديث التي استدل بها ابن تيمية على إثبات الصوت لله تعالى، قوله صلى الله عليه وسلم: ((إذا تكلم الله بالوحي، سمع أهل السماء كجر السلسلة على الصفا)) الذي يدل على إثبات صوت لله يشبه الصوت الذي يحدث عند جرس السلسلة على الصفا والصحر.

### الجواب

أ. أن هذا الحديث جاء بيانه في قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود بلطف ((سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا))<sup>3</sup> الذي يدل على أن الصوت للسماء، والقاعدة في تفسير النصوص ((أن خير ما يفسر به الوارد)).

ب. أن في الحديث قرينة تكل على أن للصوت لغير الله، وهي التشبيه ((كجر السلسلة)).

فحين شبهه عرف أنه لا يقصد الله، لأن الله «ليس كمثله شيء».

<sup>1</sup> أخر السنن 166,3

<sup>2</sup> المرجع السابق 122,6

<sup>3</sup> أخرجه أبو داود في مسند كتاب السنة: باب في القرآن

و لأحد شطري حرفي مع وجود- العريضة الصارفة لا يجوز في تحليل النصوص، قال ابن تيمية في الفتا الدمشقية:

ب الصهور يكون بالتوصع اللعوي، أو العرفي، أو الشرعي، أو بما اقتصر باللفظ المراد من التركيب الذي تتغير به دلالة في نفسه، أو بما اقتصر به من القرائن اللفظية التي نجعلها مداراً وسباق الكلام الذي يعين أحد محتملات اللفظ<sup>1</sup>.

### ووجود القرينة في الحديث يعبر عن

- بيان النبي صلى الله عليه وسلم لمقصده من الكلام
  - عدم تكبر من يأخذ بالظاهر الحرفي للنص، واستعماله في وصف الله بما لم يصف به نفسه، ولم يصغه به رسول صلى الله عليه وسلم والفتا الدمشقية لابن تيمية:
  - تعيينا على تكلم النص السابق، وتؤكد صحة التحليل.
  - تبين تعارض ابن تيمية في فتاويه، ففي مواطن منها يكر المجاز، ويعلم عدم وجوده في اللغة، وفي هذه الفتا يصرح بوجوده، ويثبت وقوعه
  - ح- أن تحليله يتعارض مع استدلاله التي وصف فيها صوت ه بانه جميل، لأن صوت جر السلسلة على الصخر عفيف مرعج، يبعث الغنى في النفس، وينحل عليها الصيق والامتياء.
  - 3 ما رواه البخاري في باب قول الله تعالى 'فولا تمنع الشعاعة عنده إلا بإذنه'، قال: ويذكر عن جابر عن عبد الله بن أنيس قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((يحضر الله العبد، فيناديهم بصوت. يسمعه من بعد كما يسمعه من قريب، أنا الملك، أنا الديان))<sup>2</sup>.
- وهذا الحديث يدرس من ناحيتين:

- من حيث صحته. - من حيث دلالاته.

<sup>1</sup> شرح لونية ابن القيم 131

<sup>2</sup> البخاري-الفتح- 234,17

### من حيث الصحة.

هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه بصيغة التبريص [[وينكر عن جابر]]  
دلالة على أنه ليس على شرطه.

وأخرجه في كتابه الأدب المفرد، وأخرجه أحمد وأبو يعلى والطبراني كلهم من طريق همام بن يحيى عن القاسم بن عبد الواحد المكي عن عبد الله بن محمد بن عجيل<sup>1</sup>، فمدار الحديث على عبد الله بن محمد بن عجيل، الذي قال عنه الإمام أحمد منكر الحديث، وعن ابن معين ابن عجيل لا يفتح حديثه، وقال عنه ابن المديني: كان ضعيفا وقال النسائي ضعيف وقال ابن حريمة: لا أحسن به لسوء حفظه، وقال عنه الذهبي: لا يرتقى خبره إلى درجة الصحة ولا يحتاج. وللحافظ المقدسي جزء في تبيين وجوه الضعف في الحديث المذكور<sup>2</sup>.

ولا يعتمد على توثيق الهيثمي لرواية أحمد، لأن مدارها أيضا عن القاسم بن محمد.

ويدفع بعض العلماء بما ذكره ابن حجر في الفتح (1/174) بأن له طريقا آخر، أخرجه الطبراني في مسند الشاميين، وتام في فوائده، من طريق الحجاج بن ديار عن محمد بن المنكر، عن جابر بمعنى حديث أنيس قال عنه ابن حجر: إسناده صالح.

والجواب كما قال الشيخ حسن الصفار: كيف يقبلون قول الحافظ ابن حجر ((إسناده صالح)) مع أن إسناده غير صحيح، بوجود المجاهيل في طريق الطبراني في مسند الشاميين، وتلف إسناده الضعيف، ويرفصون بعد ذلك قول الحافظ في ((التلخيص)) عن حديث الثقلين ليعتد بعد القرن وإسناده صالح؟ نعمان الصيدواي الذي في مسند الطبراني في مسند الشاميين، وشيحه سليمان بن صالح مجهولان، وشيخ الثاني وهو عبد الرحمن بن ثابت صنفه يخطئ، رمي بالفقر، تغير بأخرة كما في التقريب<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> فتح الباري 234، 17

<sup>2</sup> تكملة السيف المسلول 71-72

<sup>3</sup> إقام الحجر على المسلول على الأشاعة 31

وعلى فرض صحة الحديث فلا يصح فيه على أن الصوت لله؛ لأن النص صريح  
المستتر في الفعل "يُناديهم بصوت" يرجع إلى القنم بالحشر، أي أن المنادي هو  
الحشر، والحشر يُعبد يوم القيامة الملائكة «الذين سقت لهم مما الحسنى  
أولئك عنها سعدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتلقاهم الملائكة هداً يومئذ كنهم  
توعدون»، اخرج أحمد والنسائي والحاكم وصححه والبيهقي عن أبي ذر قال  
حدثني الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم - ((أن الناس يحشرون يوم  
القيامة على ثلاثة أفواج: فوج راكبين طاعمين كنسير، وفوج يمشون ويسمعون،  
وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم، وتحشرونهم إلى النار))<sup>1</sup>  
وأسد الرموز صلى الله عليه وسلم - الفعل إلى الله، لأنه الأمر به، قال الله  
تعالى: «ويحشرون يوم القيامة على وجوههم»

وهذا التحليل موافق لقاعدة ابن تيمية في تأويل النصوص التي تقول: إن  
الأفعال والألفاظ التي وردت في القرآن عن الله، مشتملة على صفات الجمع،  
والتي تتحدث عن تدبير الكون، مثل: إنا، ونحن، ونحيي، وميت، ونعلم،  
ونكتب، ونسمع، وكذلك الأسماء المشتملة مثل: حافظون، ومنعمون تدل على  
الله باعتباره الأمر، وتدل على الملائكة باعتبارها المداخلة للأفعال<sup>2</sup>.



<sup>1</sup> الحاشي للفتاوى للسيوطي 1972 وفي مسند الإمام أحمد الوعيد بن جمع روى به مسلم مدبرة، وخرج  
به النسائي مسند الإمام أحمد مع الفتح 101.24 وفي البحار ومسنم والنسائي ((يحشرون الناس يوم  
القيامة على ثلاثة طوائف: راكبين وراعيين، وثلاث على بعير وعشرة على بعير، ويحشرون معهم النار)).  
وعند ابن مريويه عن المتقي ((يؤمنون بوق من الجنة)) قاله في تفسير قوله تعالى «ويحشرون المتقين إلى  
الرحمن وهذا» وعند ابن مريويه وثبته والحاكم وصححه ((ما يحشرون على أرجهم ولا يساقون سوداً.

ولكنهم يلاتون بوق من موق الجنة)) الفهر 313,4

<sup>2</sup> مجموع الفتاوى 512,5 513

## أمثلة القاعدة:

- 1 قال الله تعالى: ﴿وَبَدَأَ قِرْآنَهُ فَاسْمِعْ قِرْآنَهُ﴾ جاء فيه الفعل بصيغته الجمع «قِرْآنَهُ» ليدل على أن الله يعتبره الأمر، ويدل على جبريل باعتباره المباشر بعزاءه والقائم بها.<sup>1</sup>
- 2 قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ حَنَنَّا لَهُمْ بِكِتَابٍ﴾ والاتي به جبريل، وأسند الله الإتيان إليه باعتباره الأمر.
- 3 قال الله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾<sup>4</sup> ويقال فيه ما قيل في «الأول والثاني» عن الحسن أن جبريل -عليه السلام- اجتث مدينة قوم لوط من لأرض، ثم رفعها بجناحه، حتى بلغ بها حيث شاء، ثم جعل عاليها سافلها<sup>5</sup>.
- 4 قال الله تعالى: ﴿فَنَشْرَبْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾<sup>6</sup> قال السدي قال جبريل لسارة، أبشري بولد اسمه إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب.<sup>7</sup>
- 5 قال الله تعالى: ﴿فَعِظْمَنَّا أَعْيُنَهُمْ﴾<sup>8</sup> والمباشر للطمس جبريل كما قال ابن عباس.<sup>9</sup>
- 6 قال الله تعالى: ﴿فَسَقَاهُ إِبْرَاهِيمَ يَدَ مَيْتٍ﴾<sup>10</sup> والسايق له ملك، أخرج أحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: ((الزعد ملك من ملائكة الله، موكل بالسحاب، بيديه

<sup>1</sup> القياس 17

<sup>2</sup> نظير الدر المنثور 321,6

<sup>3</sup> الأعراف 51

<sup>4</sup> هود 81

<sup>5</sup> الدر المنثور 374,3

<sup>6</sup> هود 70

<sup>7</sup> المرجع السابق والجزء 369

<sup>8</sup> القمر 37

<sup>9</sup> المرجع السابق والجزء 373

<sup>10</sup> نظير 9

محراق من نار، يرحل به السحاب، يسوقه حيث أمره الله<sup>1</sup>) ويسببه نفعه  
لنفسه باعتباره الأمر.

7 قال الله تعالى ﴿وَيَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾<sup>2</sup> فأحرر بالكتابة بصيغة الجمع، لأن  
جذبه يكتبون بأمره ﴿مَا يَمْنَعُ مِنْ قَوْلِ الْإِلَهِ رَقِيبٌ عِيدٌ﴾<sup>3</sup>.

8. قال الله تعالى: ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوسَّوْنَ بِهِ نَفْسًا﴾<sup>4</sup> هل على علم الله، وعلى علم  
الملائكة ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلًا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾<sup>5</sup> فهو  
يسمع ومن يشاء من الملائكة يسمعون ﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافَتَيْنِ كَرَامًا كَاتِبَتَيْنِ  
يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾<sup>6</sup>.

9. قال الله تعالى ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ إِذْ يُلْقَى الْمَتْلَقَانِ عَنِ الْيَمِينِ  
وَعَنِ الشَّمَالِ لَعِيدٌ﴾<sup>7</sup> فعبر بصيغة الجمع ((نحز)) مثلما عبر في قوله تعالى  
﴿وَيَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ لما كانت ملائكته متقربين إلى العبد بأمره<sup>8</sup>.

10 13 وكذلك القول في قوله ﴿وَسُوقَ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرْدًا﴾<sup>9</sup> ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ  
الْقَوْلَ﴾<sup>10</sup> ﴿بِصَلِيهِ جَهَنَّمَ﴾<sup>11</sup> ﴿سَنَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ﴾<sup>12</sup> مما سبب الله الفعل فيه لنفسه  
باعتباره الأمر.



<sup>1</sup> المرجع السابق 58,4

<sup>2</sup> وسين 11

<sup>3</sup> ق 18

<sup>4</sup> ق 16

<sup>5</sup> خزخرف 80

<sup>6</sup> الانفطار 10-12

<sup>7</sup> ق 16-17

<sup>8</sup> انظر الفتاوى لابن تيمية 512,5-513

## القاعدة

لأفعل والكلمات التي ورث في القرآن تتحدث عن تدبير<sup>1</sup> الكون بصيغة الجمع، مثل على الله باعتباره الأمر. وسئل على الملائكة باعتبارها المباشرة للفعل

## تطبيق القاعدة على الموضوع

14 18 تطبق هذه القاعدة على قوله تعالى: «ويحشرهم يوم القيامة على وجوههم»<sup>2</sup> «فوريك لحشرتهم والشياطين ثم ليحصرهم حول جهنم حثيا» «يوم يحشر المتقين إلى الرحمن وفدا» «يوم ندعوا منادى كل إناس بإمامهم»<sup>3</sup> يستنتج أن الحشر والمحصر والمنادى هم الملائكة، وأن الإنسان في الحديث الشريف السابق ((يحشر الله العباد، فيناديهم بصوت)) إسماء مجازي، وأن المدشر والفسد بالفعل هم الملائكة

ويدل على صحة هذا الاستنتاج والتأويل من القران المنفصلة:

- بالنسبة للحشر والإحصاء الأحاديث التي تنبئ عن أن الملائكة هم القائمون بهما، وقد تقدم بعضها.
- بالنسبة للنداء:
- أ. ما قاله حينئذ رضى الله عنه: ((ينادى يوم القيامة، يحرح بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعون))<sup>4</sup>.

يعنى هذا أن المقصد به مثل قوله تعالى «نحن نرى الأرض»، مما لا علاقة له بالتدبير، كما لا تشمل هذه القاعدة ما كتبت القرائن مباشرة فيه لفعل بنفسه.

<sup>2</sup> الإسراء 97

<sup>3</sup> مريم 67

<sup>4</sup> مريم 85

<sup>5</sup> الإسراء 71

<sup>6</sup> أخرجه أبو نعيم في الحلية قدر المنور 310,6

ب ما أخرجه ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي رضي الله عنه قال: يحضر الله الناس يوم القيامة وينادي مناد، فيسمع الناس الصوت بدونه، فب قول الله تعالى: «اليوم نذيعون الداعي المصا-ى- لا عوج له»<sup>1</sup>

فأسند في هذا الخبر وهي التي فيه النداء لعير الله، ومثل هذا لا يقال بالرأي وكلام القرظي كأنه تفسير لحديث البخاري السابق ((يحضر الله العباد، فيناديهم بصوت)) مما يؤكد صحة القاعدة السابقة في التأويل، التي تنص على أن من الجماعة في مثل قوله تعالى: «اليوم ندعوا-ى- كل أناس بإمامهم» تدل على الله باعتباره الأمر، وتدل على الملائكة باعتبارها المباشرة للفعل، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إنكم مجموعون بصعيد واحد، ينف كهم البصر، وتسمعون الداعي»<sup>2</sup>.

ح ما رواه الطبراني عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم ثم ينادي مناد: أيها الناس..))<sup>3</sup> فمسب النداء للمنادي.

د ما أخرجه ابن القيم في حادي الأرواح في هامش أعلام الموقعين 97,2 - عن الدارقطني من حديث أبي موسى: ((يبعث الله يوم القيامة مناديا بصوت، يسمعه أولهم وآخرهم))<sup>4</sup>.

وفي هذا الحديث بطلان:

ه البيان الأول أن المعادى هو الملائكة، وأن من صفات الملائكة إحداث الصوت، وفي حديث مسلم ((فبينما أنا أمشي، سمعت صوتا من السماء، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء))<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> الدر المنثور 338,4

<sup>2</sup> رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير رباح النخعي وهو ثقة مجمع الزوائد 346,10

<sup>3</sup> المرجع السابق والجزء 343 ورجاله رجال الصحيح غير الشاذلي وهو ثقة

<sup>4</sup> تكملة السيف المنقول 172 وهذا الحديث يقوى حديث ابن مسعود رضي الله عنه، والذي جاء فيه ((إني الله عز وجل يبعث يوم القيامة مناديا ينادي: يا آدم، إني الله يترك من يبعث بعثا من دريت بك إلى

فقر)) مسند الإمام أحمد -الفتح- 116,24

<sup>5</sup> مسلم -الأبي- 301,1

- ليس شيء أن معنى الجملة التي وردت في حديث ابن سيرين ((سمعه من بعد كما يسمعه من قرب)) هو معنى جمته ((سمعه أولهم وآخرهم))  
فإن قلت جاء في حديث الحنبل في الموطأ قول ((بسم الله الرحمن الرحيم)) مصداقاً  
بدل على أن المنادي هو الله.

### والجواب:

1 أن التصريح بثلث على أن المنادي منك من الملائكة وإن سمع الله به نسبة مجازية.

2 أن هذا التعبير في صياغته مشابه لـ:

1 ما جاء في صحيح البخاري في حديث المعراج الذي ذكر فيه تحييف الصلوات من الحمسين إلى حمس ((فما جاورت به في عرفة مصيب فرصتي، وحلف عن عبادي))<sup>1</sup>.

ب. ما أخرجه ابن جرير عن سليمان التيمي قال سمعت أن الناس حين يستأثرون ليس فيهم إلا فرعون، فينادون الله: ((يا عدي لا خوف عليك يوم ولا آثم تحزنون)) فهذا بصل يدل على أن الملك يقول صلوات عن الله.

ج. قال الله تعالى: «وإنادى فرعون في قومه لعل يا قوم أليس لي ملك مصر؟» فسب الله الله والقول إلى فرعون مع أنه لم يباشر واحداً منهم، خرج ابن المنذر عن ابن جريح في قوله تعالى: «وإنادى فرعون في قومه» قال ليس هو نفسه، ولكن أمر أن ينادى<sup>4</sup>.

د. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ينزل رب إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، يقول هل من تائب فأتوب عليه، هل من مسئع فاعفر له)) فسب القول إلى الله واصناف الحراء إليه ((فأتوب عليه فاعفر له)) مع أن المباشر للقول هو الملك، كما جاء بيانه في حديث: ((ينادي مباد كل ليلة،

<sup>1</sup> أخرجه البخاري في صحيحه كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، الحديث 2332

<sup>2</sup> الدر المنثور 246 وهذا الأثر يصح من الثوري في المسند الذي نسب له غير الله

<sup>3</sup> ألف خرف 50

<sup>4</sup> الدر 21,6

هل من داع فيستجاب له، هل من سائل فيعطى))<sup>1</sup> وجاء في حديث أبي هريرة وأبي سعيد أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((إن الله عز وجل يمهّل حتى يمضي شطر الليل، فينادي مناد: هل من داع يستجاب له، هل من مستغفر يعفر له، هل من سائل يعطى))<sup>2</sup>.

وأخرج الطبراني بلفظ ((تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي مناد: هل من داع فيستجاب له، هل من سائل فيعطى، هل من مكروب فيفرج عنه))<sup>3</sup>.

٥. قال الله تعالى عن آدم وحواء «وإدا هما فيهما ألم أنهما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين»<sup>4</sup>.

فنسب الله النداء والقول إليه، مع أن المباشر له الملك<sup>5</sup>.

### ملاحظة

طريقة التعبير الديني، وعادة الاستعمال الشرعي حين تسمند الفعل إلى الله والملائكة لا تقتصر على صيغة الجمع:

19. قال الله تعالى: «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى»<sup>6</sup>.

فعى هذه الآية أسند الله الفعل لنفسه ((أسرى)) بصيغة الأفراد، مع أن القائم به هو البراق تحت إشراف جبريل -عليه السلام-<sup>7</sup>

20. قال الله تعالى: «وما كان لشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا»<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> مسند الإمام 22، 4

<sup>2</sup> صحيحه الحافظ أبو محمد عبد الحق المقالات السنة 102

<sup>3</sup> رواء البراني ورجاله رجال الصحيح مجمع الرواة 153، 10

<sup>4</sup> الأعراف 21

<sup>5</sup> المقالات السنة للمحدث الهروي 116

<sup>6</sup> الإسراء 1

<sup>7</sup> انظر أحاديث الإسراء والتفسير في هذه الآية

<sup>8</sup> الشورى 48

فأسند الله الكلام إليه في الحالات الثلاث، مع أن المباشر للكلام في القصص  
ثلاثة هو الملك، وأسند الله لنفسه باعتبار المرسل والأمر.

21. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ الْآخِرَ حِينَ مَوْتِهَا﴾<sup>1</sup> فأسند التوفي إليه، مع أن  
المباشر له هو الملك، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتُوبُكُمْ مَلِكُ السُّبُوتِ الَّذِي وَكَّلَ  
بِكُمْ﴾<sup>2</sup>.

22. قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾<sup>3</sup> مع أن القائم بالحضر والجمع هم  
الملائكة، أخرج ابن جرير في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمَنَادُ مَنَ كَانَ  
قَرِيبًا﴾<sup>4</sup> عن بريدة قال: ملك قائم على صحرة بيت المقدس، وأصع في أدبيه،  
ينادي يقول: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَى الْحِسَابِ

وأخرج ابن عساکر والواسطي عن بريدة بن جابر في قوله تعالى ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ  
يُنَادِي الْمَنَادُ﴾ قال: يقف إسرائيل على صحرة بيت المقدس، فينفخ في  
الصُور، فيقول: يَا أَيُّهَا الْعِظَامُ النَحْرَةُ، وَالْجُلُودُ الْمَنْفَرَّةُ، وَالْأَشْعَارُ الْمَنْقَطَعَةُ،  
إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكَ أَنْ تَجْتَمِعَ لِغَسَلِ الْحِسَابِ<sup>5</sup>.

23-24- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَهَ جَامِعِ الْمَلَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾<sup>6</sup> فربما  
إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه<sup>7</sup>.

ويقال فيهما ما قيل في النص السابق.

25-26- فقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ  
الثِّقَالَ﴾<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> الزمر 39

<sup>2</sup> السجدة 11

<sup>3</sup> التين 9

<sup>4</sup> ق 41

<sup>5</sup> الدر المنثور 122,6

<sup>6</sup> النساء 129

<sup>7</sup> آل عمران 9

<sup>8</sup> فرقان 13

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله عز وجل ينشيء السحاب))<sup>1</sup> ففي حديث النصير سمع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ينشيء السحاب إلى الله، لأنه الأمر به، بالرغم من أن المباشر له ملك من الملائكة.

- أخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله أن حزيمة بن ثابت رضى عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ممشأ السحاب، قال: ((إن ملك موكل بالسحاب، يلم الفاصية، ويلجم الدانية، في يده محراق، فإذا رفع برقت، وإذا زجر رعدت، وإذا ضرب صعقت))<sup>2</sup>.

- وأخرج أحمد والترمذي وصححه والسنائي وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((الرعد من ملائكة الله، موكل بالسحاب، بينه مخراق من نار، يرجر به السحاب، يسوقه حيث أمره الله))<sup>3</sup>.

27. ومثل النص السابق قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الْعَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قُمُوا﴾<sup>4</sup> والمسؤول عن العيث ملك من الملائكة، جاء في الحديث الشريف ((استأثر ملك القطر -المطر- أن يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم))<sup>5</sup>.

28. قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾<sup>6</sup> وتلقيه كان عن جبريل المرسل من رب العالمين، كما جاء عن ابن عباس<sup>7</sup>، وأضيف التلقي إلى الله باعتباره الأمر المرسل.

<sup>1</sup> رجاله ثلاث مسند الإمام أحمد 14,2

<sup>2</sup> أخرجه ابن مردويه قدر المشور 58,4

<sup>3</sup> المرجع السابق والجوه والصفحة

<sup>4</sup> الشورى 26 المسؤول عن المطر ملك من الملائكة -ميكتيل- قدر 346,6

<sup>5</sup> رواد الطبراني وإسناده حسن - مجمع الزوائد 193,9

<sup>6</sup> البقرة 36

<sup>7</sup> قدر 65,1

عن مجاهد في قوله تعالى: «السماء منقطرة»<sup>1</sup> قال: منقطة بالله<sup>2</sup>، فأصاب سبب الانقطاع إلى الله، مع أن سببه الغريب هو الخوف من يوم القيامة، أخرج الطبرسي في مسائله عن ابن عباس، أن نافع الأزرق سأله عن قوله «منقطرة» قال: متصدع من خوف يوم القيامة. وأخرج عبد بن حميد عن الحسن في قوله «السماء منقطرة» قال منقطة بيوم القيامة<sup>3</sup>، وعن ابن جريح إذا جاءت الساعة انشقت السماء<sup>4</sup>.

والمعنى يؤكد هذا، قال الله تعالى: «يومًا يجعل الولدان شيبا السماء منقطرة» أي باليوم. وإنما أضافه مجاهد لله؛ لأن منشيء يوم القيامة، وسبب الخوف فيه هو عذاب الله وعقابه وهوله، أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة في قوله «السماء منقطرة» قال: منقطة بذلك اليوم من شدته وهوله<sup>5</sup>.

30. عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: ((إني الله كتب كتابا قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام، فأُنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة))<sup>6</sup> فنسب الإنزال إلى الله مع أن القائم به جبريل عليه السلام - (قل نزله روح القدس).

31. أخرج أحمد وأبو يعلى وابن حبان عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: يقول الرب عز وجل: سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم هليل: ومن أهل الكرم يا رسول الله، قال: أهل الذكر في المساجد<sup>7</sup> فنسب فيه القول إلى الرب عز وجل باعتباره الأمر، مع أن المباشر للقول الملك، أخرج الحاكم وصححه، وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان، عن عتبة بن عامر

<sup>1</sup> المزمع 18

<sup>2</sup> أدخلته في القاعدة لأنه لا يقال فيه بالراي، بل يكون من باب الفعل

<sup>3</sup> الدر 310,6

<sup>4</sup> نظر المرجع السابق 163,3-164

<sup>5</sup> الدر 310,6

<sup>6</sup> أخرجه أبو عبيد والدارمي والترمذي والبيهقي وابن الصوري ومحمد بن نصر، وابن حبان، والحاكم وصححه والبيهقي في الاسماء والصفات الدر 389,1

<sup>7</sup> المرجع السابق 58,3

قال: كما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فقال: ((جمع نسر في صعب واحد، يفهم نصير، ويسمعهم الداعي، فينادى مناد: سيعلم هر الموفف لمن الكرم اليوم)) وفي رواية ((فيقوم من فينادى))<sup>1</sup>.

32. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يقول الله يا آدم، فيقول لنسك وسعديك، فينادى بصوت من الله يأمرك أن تخرج من دريتك بعث إلى النار))<sup>2</sup> فمسب النداء إلى الله مع أن المقام به ملك، كما سبق بيانه، لأن من بحر عن غيره يأتي باسمه الطاهر، وهذا ما أوضحه حيثمة - رضي الله عنه - عند تفسير قوله تعالى «يوم يجعل الولدان شيبا» قال: يناد مناد يوم القيامة: بخرج بعث النار، من كل آفة تستعصية وتسعون، فمن ذلك يشيب الولدان

وقد فهم معنا عند قوله تعالى: «يوم ينادى المادي» أن المقام بالنداء الملائكة قال الله تعالى: «وإنا إلههم ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة» مع أن المادي ملك من الملائكة كما تقدم.

34. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ينزل ربنا إلى السماء الدنيا)) مع أن النازل ملك كما سبق إثباته.

35. جاء في حديث الشفاعة ((فيأتي النبي صلى الله عليه وسلم ربه، فيحضر ساجداً قر جمعة، ويقول الله عز وجل: ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع))<sup>3</sup> فأسند فيه قول الجمل ((ارفع رأسك، وقل تسمع، واشفع تشفع)) إلى الله عز وجل، مع أن القاتل هو جبريل، كما جاء بيانه في حديث آخر، يتكلم على نفس المشهد ((فأوحى الله إلى جبريل عليه السلام أن اذهب إلى محمد، فقل له: ارفع رأسك، سل تعطه واشفع تشفع))<sup>4</sup>.

وهذا يدل على أن الصحابة والسلف الصالح مدركون لمعنى النصوص المتشابهة، عارفون بتأويلها المجازي، لأن اختلاف الروايات للمشهد الواحد،

<sup>1</sup> المراجع السابق والجزء 57-58

<sup>2</sup> البخاري-السني 180.4

<sup>3</sup> رواه أبو يعلى وحسن وزجالهم تحت مجمع الروايات 377-378

<sup>4</sup> رواه أحمد وزجاله رجال الصحيح المراجع السابق والجزء 376-377

يعبر عن أن الحديث روى بالمعنى، وأن بعضهم عبر مثلاً ((بِقَالَ الله))  
و الآخر عبر ((بِقَالَ جبريل)) وكلا التفسيرين صحيح، لأن التمعنى واضح،  
و لمقصود طاهر، وقد لفت القراء الكريم عن سادته الأولى في مكة المكرمة  
انظر المسلمين، إلى أن المباشرة لأفعال ولديهم هذا ملائكة لكرم  
«والمديرات أمراً»<sup>1</sup> سواء كل التعبد بصيغة الجمع و بصيغة الأفراد  
والمدرَك لعادة الاستعمال الشرعي، والمنته لاسلوبه في التعبير، فتجلى أمامه  
معاني كثير من النصوص المتشابهة فبدرك القام بها، والمباشرة لعملها فـ  
لا يجد اشكالا في فهم قوله صلى الله عليه وسلم : ((إني ربي عز وجل إني  
الليلة في أحسن صورة، فقال لي يا محمد، هل ترى فيه يحتصم الملائكة الأعلى،  
فقلت: لا أعلم يا رب، قال:

فوضع كفيه بين كفتي، حتى وجدت برد أنامله في صدري، فتجلى لي ما بين  
السماء والأرض<sup>2</sup> ((لأن عادة الاستعمال الشرعي في مثل هذه النصوص  
تدل على أن ذاتي ملك، والعريضة النقطية في الحديث ((فوضع كفيه بين كفتي))  
تؤكد هذا، وتفسير أهل الطاهر لها بأنها يد الله تفسير بعيد، لأن يد الله عندهم  
عظيمة تسع السماوات والأرض<sup>3</sup>، فكيف تقتصر فيما بين كفتي النبي صلى  
الله عليه وسلم - بخلاف يد الملائكة، فالملائكة لها قدرة التشكل والتمثل فتمثل  
لها بشراً سوياً.

وأغلب الظن أن هذا الملك هو جبريل عليه السلام - لأن ليد جبريل كما جاء  
في الحديث الشريف - علاقة بالفتح والتجلي ((فيأحد جبريل عليه السلام  
بصبره أي النبي صلى الله عليه وسلم - فيفتح الله عز وجل، عليه من الدعاء  
شيئاً لم يفتح على بشر قط))<sup>4</sup> قاله في أحداث القيامة.

<sup>1</sup> المذاهب ٩ ومن المعنى التي تدل عليها هذه الآية أيضاً من سببه التصريف بغير الله في هذا الكون لا  
تدل على الشرك، لأن لكل يشرف بإذن الله ومشيئته، فهم خدام وجند به سبحانه وتعالى

<sup>2</sup> أخرجه الطبراني والخطيب ومحمد بن نصر الدر المنثور 353.5

<sup>3</sup> عندهم من الأرض والسماوات في قصته يوم الدين لا يساوى حربه بغير كتب التوحيد لأنس عبد

الوهاب 139

<sup>4</sup> رواه أحمد وأبو يعنى بنحوه والبرز ورجلهم ثقات مسند الإمام مع الفصح 126 125 24

- وكذلك القول في قوله صلى الله عليه وسلم ((إني سمع خلق آدم على صورته)) فيعادة الاستعمال برك ابن الفائم بالخلق من أهل السماء. وأضيف الفعل إلى الله لأنه الأمر، وبالفريضة النقطية ((على صورته)) برك نوع هذا القدم، والله من صنف الروح، فعن ابن عباس قال الروح أمر من أمر الله وخلق من خلق الله، وصورهم على صورة بني آدم<sup>1</sup> وعن مجاهد قال الروح يأكلون، ولهم أيد وأرجل ورؤس، وليسوا بملائكة<sup>2</sup> ويكون معنى الحديث إن روح الله خلق آدم على صورته

وهذا التأويل موافق لعادة الاستعمال الشرعي وطريقه في التعبير، وموافق لقاعدة ابن تيمية التي تقول إن الألفاظ الواردة في القرآن بصيغة الجمع التي تحدث عن تدبير الكون مثل: إنا نحن، سمعت، تعلم، نكتب، نسمع، تدل على الله باعتباره الأمر، وتدل على الملائكة باعتبارها المباشرة للأفعال<sup>3</sup>، قال الله تعالى عن خلق آدم بصيغة الجمع: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾<sup>4</sup> ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾<sup>5</sup>، فأسند الله الخلق لنفسه باعتباره الأمر، وعبر بصيغة الجمع ليدل على مباشرة الروح للخلق، وهو ما تؤكد عادة الاستعمال الشرعي كما سبق بيانه.

والإضافة في قوله تعالى عن آدم: ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ للتعظيم، كقوله تعالى عن بيعة الرضوان: ﴿يَدِ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾<sup>6</sup> وكقوله: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾<sup>7</sup> ﴿بَيْتَ اللَّهِ﴾<sup>8</sup> لأن

<sup>1</sup> قدر المنشور 123,4

<sup>2</sup> المرجع السابق 344,6

<sup>3</sup> سبق تقريرها

<sup>4</sup> المؤمنون 12

<sup>5</sup> الأعراف 10

<sup>6</sup> من 74

<sup>7</sup> الفتح 10

<sup>8</sup> الشمس 13

انعم بالأمم في خلق آدم عليه السلام روح عظيم. عن عكرمة قال الروح أعظم خلقا من الملائكة<sup>1</sup>.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال الروح في السماء السابعة، وهو أعظم من السموات والجبال ومن الملائكة وعن الصادق قال الروح حاحب أسير.

وإضافة الخلق إلى غير الله معبودة في النص الديني.

- أخرج أحمد ومسلم والبيهقي في الأسماء والصفات عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - بأبي هاتين، يقول: ((إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة)).

وفي لفظ ((إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكا، فصوره، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها))<sup>2</sup>.

فمنسب التصوير والخلق للملك باعتباره المباشر للفعل، ومنسب الله إلى نفسه باعتباره الأمر «فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه» «ولقد خلقناكم ثم صورناكم» «ولقد خلقنا الإنسان من نطفة» والتعبير بصيغة الجمع ((خلقناكم)) ((صورناكم)) يؤكد صحة القاعدة السابقة، وشمولية قوله تعالى «فالمديون أمراء» للخلق والتصوير.

- قال الله تعالى عن عيسى عليه السلام: «إني أخلق لكم من الطين كهيئة التمر فأنفخ فيه فيكون طائرا يا ذن الله»<sup>3</sup>.

- جاء في الحديث الشريف ((أرسل ربك عز وجل السماء بهصب من عند العرش، فطمر إليك ما تدع على ظهرها من مصدع قتل، ولا مدعى ميت، شقت القبر عنه، حتى تحلقه من عند رأسه، فيستوي جالسا))<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> قدر 344,6

<sup>2</sup> فمرجع السابق والجزء 373

<sup>3</sup> قدر المستور 379,4

<sup>4</sup> في صرا 48

<sup>5</sup> روى الطبرسي وعبد الله وأحمد طريقا عبد الله بن مسعود ورجالها ثقات مجمع الزوائد 10 341

والخلاصة أن إسماعيل الخنق أنى الله إسماعيل مجازى باعتباره لأمره، وأن المقصود بالصورة في قوله ((على صورته)) هو الروح، ولا يجوز أن يعد الصمير على الله، نقل الحافظ البهقي عن الإمام أبي سليمان الحطابى أنه قال: إن الذي علينا وعلى كل مسلم أن يعلمه، أن رساليس بدي صورة ولاهينته، فإن الصورة بتفصي الكيفية، والكيفية منفعة عن الله وعن صفاته<sup>1</sup>

وقال الإمام الشافعى: اعلموا أن الصور والتزكيب تسحيل على الله تعالى للمعنى الذي ذكرنا في الجسم، ولأن ذا الصورة لا يختص بصورة دون صورة، لا بمخصص هو فاعله وحالقه، ومن يكون له صورة أيضا مخلوق لا إشكال فيه، ولأن الصورة لا تشبه المصور، والله تعالى خالق كل شيء، وصورته «ليس كمثله شيء» وقال الله تعالى «هو الله الخالق البارئ المصور»<sup>2</sup>. ونقل البيهقي في مناقب أحمد، عن رئيس الحديث أبي الفضل التميمي أنه قال: أنكر أحمد على من قال بالجسم، وقال: إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة، وأهل اللغة وصنعوا هذا الاسم على دى طول وعرض وسماك وتزكيب وصورة وتأليف، والله خرج عن ذلك كله<sup>3</sup>.

وبنفس القعدة السابقة في الاستعمال الشرعى تترك:

أ. أن إسماعيل الفعل إلى الله في قوله تعالى: «وكتابه في الألواح من كل شيء»<sup>4</sup> إسماعيل مجازى باعتباره الأمر بالكتابة، وأن المباشر للكتابة هو المسؤول عن خلق آدم عليه السلام قال عكرمة: إن الله لم يمس شيئا إلا ثلاثة: خلق آدم بيده، وغرس الجنة بيده، وكتب التوراة بيده<sup>5</sup>.

ب. أن المباشر للطى يوم القيامة ملك من الملائكة في قوله «يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب»، وهذا الطى سيكون يوم القيامة، قال الله تعالى: «والأرض

<sup>1</sup> الأسماء والصفات 296

<sup>2</sup> لفظه الأكبر ص 10

<sup>3</sup> تكملة صيف 90

<sup>4</sup> الأعراف 145

<sup>5</sup> قدر المنثور 3،

جميعاً قصصه يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه» وقال عن السعداء «لا يحزنهم  
الفرح الأكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون يوم يطوى السماء  
كطلي السجل للكتب» أي لا يحزنهم الفرح، وتلقاهم الملائكة يوم الطي،  
والأحداث التي تحدث من الطي بأنه في آخر أيام الدنيا حدث صعبه

وما قيل في هذه الآية يقال في الحديث الشريف ((يطوى به السموات يوم  
القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمى. ثم يقول أنا الملك، يس الجبارون) أيس  
المتكبرون<sup>(١)</sup>) فالطاوي هو الملك، والصغير في ((يأخذهن بيده اليمى)) يعود  
على الطاوي، وقوله من باب التبليغ عن الله كما سبق بيانه أعلاه

أن العائم بالحمل ملك من الملائكة أو روح من الأرواح العلوية، فيما أخرجه  
سعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي  
وابن جرير وابن المنذر والذاري قطني في الأسماء والصفات عن ابن مسعود  
رضي الله عنه - قال: جاء خبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يحمل السموات يوم القيامة على أصبع،  
والأرضين على أصبع، والشجر على أصبع، والماء والشرى على أصبع،  
وسائر الخلق على أصبع، فيقول أنا الملك<sup>(٢)</sup> فصحت رسول الله صلى الله  
عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الخبر، ثم قرأ رسول الله صلى الله  
عليه وسلم «وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته»<sup>(٣)</sup>.

وجملة ((إن الله يحمل السموات)) مشابهة للجمل التي تقدمت في بيان القاعدة.

﴿إن الله يتولى الأنفس حين موتها﴾

﴿إن الله جامع المنافقين والكفار في نار جهنم﴾

﴿إن الله عز وجل يشيء السحاب﴾

((يقول الرب عز وجل أرفع رأسك))

﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾

<sup>١</sup> سلم

<sup>٢</sup> تقدم بيان أن الملك يقول هذا مجرأ من الله.

<sup>٣</sup> قدر المشور ٦٦٨ ٥

والتي تقدم التذليل على أن الإسناد فيها مجازي، وأن التقنى بالفعل هي، والقول هم الملائكة الكرام.

ولها جاء في العقيدة لطحاوية التي نعتبر عن آراء السلف للإمام الطحاوي تعالى عن الحدود والمعائب والأركان والأعضاء والأبواب<sup>1</sup>

مما يدل على أن السلف رضي الله عنهم - لم يفهموا من أمثال العصر المدروس أن الله أصبغاً أو أصابع.

قال الإمام الشافعي في كده انفعه الأكبر البري تعالى ليس بي أجره وأبعاص، بل هو واحد، كما قال الله تعالى «قل هو الله أحد» والمجتمع المولى لا يكون واحداً<sup>2</sup>.

قال الإمام عبد الله بن عبد الله - أجمع أهل السنة على بحالة وصفه بالصورة ولأعضاء<sup>3</sup>

أن سنة الإحاطة إلى الله في قوله تعالى «والله محيط بالكافرين» سنة مجرية، وأن نعم بها ونصوص بها معفه خلق من خلقه وحده من جنوده، أخرج بن أبي السب في العهود وأبو الشيخ في لعظمه عن ابن عباس قال: خلق الله جبلاً يقال له ((ق)) محيطاً بتعاليمه وعروته إلى الصحرة التي عليها الأرض، فإذا أراد الله أن يرزق قرية أمر ست الجن، فحرك العرق الذي على تلك القرية، فبرز لها وبحركها، فمن ثم نحرث القرية من القرية<sup>4</sup> أن سنة الانتهاء إليه هي قوله تعالى: «إليه يصعد الكلم الطيب» «إني موفقك ورافعت إلي» «بل رفعه الله إليه» نسبة مجازية، وسيأتي تحقيق ويبال لهسد النصوص في مبحث الاستواء.

<sup>1</sup> شرح العقيدة لطحاوية - الطبري - 163

<sup>2</sup> ص 10، يعني عن كتاب ((عبد عبيدة السلف والحق)) لأن حقيقه غيوي وكذب لأنه موجود في

المكتبة الفاهرية بمشق تحت رقم ق 232

<sup>3</sup> الفرق بين الفرق 320

<sup>4</sup> الدر المنثور 112,6

و أن إسناد المجيء إليه في قوله تعالى: ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ إسناد غير حقيقي، لأن عادة الاستعمال دلت على أن الآتي ملك جاء بأمر الله، بدلالة القرينة المنفصلة، قال ابن حزم: روي عن الإمام أحمد في قوله تعالى: ﴿وجاء ربك﴾ إنما معناه وجاء أمر ربك، كقوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك﴾ والقرآن يفسر بعصاه بعصا، قال ابن تيمية: ويجوز باتفاق المسلمين أن يفسر إحدى الآيتين بظاهر الأخرى، ويصرف الكلام عن ظاهره، إذ لا محذور في ذلك عند أحد من أهل السنة، وإن سمي تأويلا وصرفا من الطاهر، فذلك لدلالة القرآن عليه ولموافقة السنة والسلف عليه، لأنه تفسير للقرآن بالقرآن، ليس تفسيراً له بالرأي، والمحذور إنما هو صرف القرآن عن فحواه بغير دلالة من الله ورسوله<sup>1</sup>.

فيكون تفسير الآية ﴿وجاء ربك﴾ تم به:

1- بالقرينة المنفصلة ﴿أو يأتي أمر ربك﴾.

2- بعادة الاستعمال الشرعي في أمثال هذه النصوص، التي يستدل بها ما تقوم به الملائكة لله سبحانه باعتباره الأمر.

ومجيء الملك من المكان الذي تلقى فيه الوحي والأمر الرباني  
 أن الطاهر الحرفي في أثر ابن مسعود الآتي، والمتعلق بيوم القيامة غير  
 مفصود ((بتمثيل الله عز وجل ذكره للخلق، فيلغهم، فليس أحد من الخلق يعي  
 من دون الله شيئا إلا هو مرتفع له يتبعه، فيلغى اليهود، فيقول ما تعبدون  
 فيقولون عزيز ثم يلغى الصاري، فيقول ما تعبدون ))<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> تكملة السيف المنقش 137-138

<sup>2</sup> مجموع الفتاوى 21,6

<sup>3</sup> مجمع الروايات 332,10 واعتراض الحافظ الهيثمي على هذا الأثر بأنه مخالف للحديث الصحيح في ترتيب الشفعاء حيث جاء فيه ((إن أول شافع جبريل ثم إبراهيم ثم نوح صلى الله عليه وسلم - غير مسلم -

إمكانية تدويل العبارة بأن من يشفع به الحق وينجدون إليه ويعلمون منه الشفاعة ويكونون له  
 المدعى ((شافع)) بمعنى متشفع به، كقوله تعالى ((من ماء دافق)) أي مدفوق.

وفي حديث آخر عنه ((ويبقى محمد صلى الله عليه وسلم - وأمته فيتمشرون  
 الرب تبارك وتعالى فيأتيهم، فيقول مالكم لا تنطلقون كابطلاق الناس، فيقولون  
 إن لنا إلهًا ما رأيناه، فيقول: هل تعرفونه إن رأيتموه، فيقولون: إن بيننا وبينه  
 علامة، إذا رأيناها عرفناه، فيقول: ما هي؟ فيقول: يكشف عن ساقه، فيختر  
 كل من كان نظره، ويبقى قوم ظهورهم كصياصي البقر، يريدون السجود فلا  
 يستطيعون ))<sup>1</sup> ففي هذين الحديثين<sup>2</sup> أسند التمثل والتقاء والقول لله باعتباره  
 الأمر، والقائم والمباشر لها ملك بدلالة القرائن.

- ففوله ((يلقى اليهود ويلقى النصارى)) قرينة لفظية تعبر عن أن الملقى ملك،  
 لأن الكفار يوم القيامة محجوبون «كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون»<sup>3</sup> يوم  
 يرون الملائكة لا بشرى يومئذ لمحرمين<sup>4</sup>، والقرآن قد كفر أهل الكسب، الذين  
 يقولون بالوهمية المسيح «القد كسر الذين قالوا إن ابنه هو المسيح ابن مريم»<sup>5</sup>  
 - وقوله ((ويبقى محمد صلى الله عليه وسلم - وأمته، فيتمثل الرب تبارك  
 وتعالى، فيأتيهم، فيقول مالكم لا تطفرون )) دليل على أن القائل ملك، لأن هذه  
 الجمل ليست أول ما يقوله الله للمؤمنين، فمن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم -: ((إن سئتم أباؤكم بأول ما يقول الله عز وجل

- أو تأويناها بأول شافع للحق عند رسول الله صلى الله عليه وسلم - يشفع بهم عند ربه، ويؤيد هذا  
 التأويل ما جاء في الحديث الشريف ((إد جاني عيسى فقال هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد  
 بشكرك أو قال يجسمون إليك ويدعون الله عز وجل أن يفرق جمع الأمم إلى حيث يشاء الله  
 فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عيسى انظر حتى أرجع إليك، فذهب بي الله - صلى الله  
 عليه وسلم - حتى قام عند العرش - روى عنه جماعة رجال الصحيح مسند الإمام أحمد - مع  
 الفتوح - 124، 24

<sup>1</sup> رواه الطبراني من طريق رجال أحد رجال الصحيح غير أن لا ي وهو ثقة جميع الروايات

346، 345، 10

<sup>2</sup> الأكثر الأول وإن كان موقوفًا على ابن مسموع فإنه في حكم المرفوع، لأن مثل هذا لا يقال بالترجي

<sup>3</sup> المطمئنين 15

<sup>4</sup> للفرقان 22

للمؤمنين، وبأول ما يقولون له، قتلوا نعم قال- إن الله عز وجل يقول للمؤمنين: هل أحببتم لقائي؟ ويقولون- نعم<sup>1</sup>

- ومن القرائن المصطفوية التي تلقى صوة على حديث ابن مسعود وعلى الإس-  
المجاري فيه حديثه ((ثم ينادي مناد أيها الناس، أتم برصوا من ربكم الرب  
حلفكم، وررركم، وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، أن يولي كل إنسان ما  
كانوا يعبدون فيمطلق كل إلى ما كانوا يعبدون))<sup>2</sup> فأسد القول للمعادي، وهذه  
الأحاديث الثلاث جميعاً رواها ابن مسعود، مما يدل على روايتها له بالمعنى.  
وعلى وضوح معنى المتشابهة هذه.

- ومن القرائن الصارفة عن المعنى الظاهري في الحديث قوله ((يكشف عر-  
ساقه)) الذي يدل على أن المتكلم منزه؛ لأن عادة الاستعمال الشرعي في  
الأفعال التي تتعلق بتبيير الكون أن يسميها الله لنفسه باعتباره الأمر، بالترفع  
من أن الفاعل بها ملك «والمديرات أمراء»، أخرج ابن المنذر عن ابن عباس، قال  
قال النبي صلى الله عليه وسلم- لحبريل ليلة الإسراء: ((يكشف عن السر-  
فكشفت عنها، فنظر إليها))<sup>3</sup> فدل على أن من وظائف جبريل عليه السلام  
الكشف وإبراز الشدائد.

والساق - كما قال ابن عباس رضي الله عنهما الكبر والشدّة<sup>4</sup>، واقتصر  
السجود به تطبيق لما اعتاده المسلمون في السيا من السجود، حين كانوا يرون  
العلامات المنيرة يروون البلايا والمحن التي يحوف الله بها عباده ((إذا راى  
آية فاسجدوا))<sup>5</sup> وتفسير المصنف هنا بأنها منق الله يكشفها يوم الدين لا يصح  
أخرج عبيد بن حميد، وابن المنذر، عن سعيد بن جبير أنه سئل عن قوله: فأيوم

<sup>1</sup> رواه الطبراني بسندين أحدهما حسن مجمع الزوائد 361، 10

<sup>2</sup> المرجع السابق 143، 10

<sup>3</sup> الدر المنثور 357، 6 358

<sup>4</sup> الدر المنثور 282، 6

<sup>5</sup> أبو داود مع المصنف 62، 4 هذا نصيب يوم الدين يحصل على حسب رويته قتاده بعد أن يردن بهم فيه.

الدر المنثور 283، 6

يكشف عن ساق) فغضب غضبا شديدا، وقال: إن أقول ما يزعمون أن الله يكشف عن ساقه، وإنما يكشف عن الأمر الشديد<sup>1</sup>.

- ومن القرائن اللفظية في الحديث قوله ((هيمثل قرب)) الذي يدل على أن القائم به ملك بأمر الله، جاء في قصة جبريل مع مريم عليهما السلام - «فتمثل لها بشرا سويا»<sup>2</sup>

ج. وعبادة الاستعمال الشرعي في إسناد الأفعال التي تقوم بها الملائكة إلى الله باعتبارها الأمر، ندرك أن الإسناد في الآية الآتية إسناد مجازي «يدبر الأمر من السماء إلى الأرض»<sup>3</sup> وأن القائم بالتدبير الملائكة، قال الله تعالى: «والمديرات أمراء»<sup>4</sup>

### اعتراض ابن حجر

نقل ابن حجر في فتح الباري عن بعض العلماء استبعادهم أن يكون الصوت للملائكة في الحديث الشريف السابق الذي يقوم بدراسته ((يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب)) لسببين:

1. السبب الأول أن قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الصوت: ((يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب)) إشارة إلى أن المحدث للصوت ليس من المخلوقات، لأنه لم يحد مثل هذا هيهم.

2. السبب الثاني أن الملائكة إذا سمعوا الصوت صفعوا، وإيا سمع بعضهم بعضا لم يصفعوا، وعليه فإن الصوت في الحديث صفة من صفات ذاته<sup>5</sup> ..

ومضمون هذا الاعتراض أن الصوت الذي يحدث في الحشر، هو الذي يحدث إذا تكلم الله بالوحي، ومن أثر هذا الصوت كما جاء في الحديث صفع

<sup>1</sup> الدر 282,6

<sup>2</sup> مريم 16

<sup>3</sup> السجدة 4

<sup>4</sup> النازعات 5

<sup>5</sup> 234,17

الملائكة، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ((إن أقصى الله لأمر في  
السموات صرير الملائكة -جحش حصص- بقوله كنه سسنة على صفو ر ))  
ولقصة عبد ابن جرير، وابن مردويه ((كمر سلسنة على الصفوان، فلا يبرن  
على أهل سماء إلا يصعقوا))<sup>1</sup>.

وهذا يدل على أن الصوت ليس صوت الملائكة، لأنه إذا سمع بعضهم بعضا لم  
يصعقوا، وإنما هو لله الواحد القهار.

### الجواب عن السبب الأول

1 ليس شرط ما يحدث في الآخرة أن يكون حدث من قبل، وعهد مثله في  
العالمين به، فقد أخرج أبو داود والترمذي وحسنه، وابن جرير، وابن مردويه،  
والبيهقي في البعث عن أنى هريرة -رضي الله عنه- قال قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم - ((يحشر الناس يوم القدمة ثلاثة أصناف صنف  
مشاة، وصنف ركبان، وصنف على وجوههم))

قيل يا رسول الله، وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: ((إن الذي أمشاهم على  
أقدامهم قار على أن يمشيهم على وجوههم))<sup>2</sup>.

فالمشي على الوجوه لم يحدث للإنسان من قبل، ولم يعهد مثله، مع أنه سيكون  
وسيجد، وكذلك أمر الصوت يحدث الله فيه ما يشاء فيريد في الخلق ما  
يشاء<sup>3</sup> وفي حديث العيب الذي يوضع على العرش ((يصيح صيحة لو سمعها  
النقل لصعقوا)) مع أن صوته في الدنيا لا يؤدي ولا يمت.

2 إن الأحاديث التي سبق تحليلها يؤخذ منها أن الصوت للملائكة، فلا مجال  
للإعتراض، لا سيما وإن العائم بالمهمة يمكن أن يكون هذا أول عمل يكلف به.

<sup>1</sup> المرجع السابق والجزء 235-236

<sup>2</sup> الدر المنثور 4، 224

<sup>3</sup> فاطر 1

## الجواب عن السبب الثاني

يعني أن يكون صاحب الصوت في الحشر هو صاحب الصوت الذي يحدث حين ينكلم الله بالوحي السماء، ففي رواية أبي داود ((سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا)).

وفي حديث النواس بن سمعان ((إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماوات منه رجفة)) أو قال: ((رعدة شديدة من خوف الله، فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخرؤا له سجدا))<sup>1</sup>.

أي أن الملائكة تصعق لسماع الرجفة التي تحدث في السماء، كما يصعق البشر حين يسمعون نوح الصور، أو لو سمعوا صيحة الميت على النعش وهذا يدل على أن الأصوات العبيقة تحدث الصعق في المخلوقات، سواء كان المصعوق من أهل السماء أو أهل الأرض.



<sup>1</sup> انظر فتح الباري 17، 233-234

## فتوى الأئمة في الصوت والحرف

- قال الصحابي الجليل علي بن أبي طالب رضي الله عنه - إن الله كلد موسى عليه السلام - بلا جوارح، ولا أنوات، ولا حروف، ولا شفة، ولا لهوات، سبحانه عن تكيف الصفات<sup>1</sup>.
- قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه - في كتابه الفقه الأكبر: الله تعالى يتكلم بلا آلة ولا حرف، والحروف مخلوقة، وكلام الله تعالى غير مخلوق<sup>2</sup>.
- يقول الجليل من أئمة التصوف: جلت ذاته عن الحدود، وجلّ كلامه عن الحروف، فلا حد لذاته، ولا حروف لكلامه<sup>3</sup>.
- والشيخ الجليل إمام هادي كما قال ابن تيمية<sup>4</sup>.
- قال الإمام الأسعراييني في معرض ذكر عقيدة أهل السنة والجماعة: وأن تعلم أن كلام الله تعالى ليس بحرف ولا صوت، لأن الحرف والصوت يتصممان جوار التقيّد والتأخر، وذلك مستحيل على القديم سبحانه<sup>5</sup>.
- قال العلامة المحدث على الفارسي في شرح الفقه الأكبر: ومبتدعة الصائفة قالوا كلامه حروف وأصوات، تقوم بذاته، وهو قديم وهذا قول باطل بالضرورة ومكابرة للحس للاحساس بنقص الباء على السين في بسم الله وبحوه<sup>6</sup>.
- سئل سلطان العلماء العزبي عن السند والإمام المحتجّ أبو عمرو عثمان بن الحاحب المالكي<sup>7</sup>، والإمام علم الدين أبو الحسن علي بن محمد السجدي عن

<sup>1</sup> الإنصاف للبلائي 90

<sup>2</sup> الفقه الأكبر ص 61

<sup>3</sup> الإنصاف 90

<sup>4</sup> مجموع الفتاوى 491,5

<sup>5</sup> التبصير في الدين 102

<sup>6</sup> شرح الفقه الأكبر 29-30

<sup>7</sup> كلامه ممن سئل عن شبهة انصافه من شخص الذي رضي الله عنهم

كلام الله القديم القائم بذاته، هل يجوز أن يقال إنه عين صوت القارئ وحروفه المقطعة، وعين الأشكال التي يصورها الكاتب في المصحف؟ وهل يجوز أن يقال: إن كلام الله القديم القائم بذاته حروف وأصوات على المعنى الطاهر فيها، وأنه عين ما جعله الله معجزة لرسوله صلى الله عليه وسلم؟ وما الذي يجب على من اعتقد جميع ذلك وأداعه وغرّ به ضعفاء المسلمين؟ وهل يحل للعلماء المعتبرين إذا علموا أن ذلك قد شاع أن يسكنوا عن بيان الحق في ذلك، وإظهاره والرد على من أظهر ذلك، واعتفده؟ أفنونا مأجورين

### جواب سلطان العلماء

الفر أن كلام الله صفة من صفاته، فسم بذاته، ليس بحروف ولا أصوات ومن رعم أن الوصف القديم هو عين أصوات القارئ وكناية الكتيب فقد ألحد في الدين، وحالف إجماع المسلمين، بل إجماع العقلاء من غير أهل الدين، ولا يحل للعلماء كتم الحق، ولا ترك البدع سارية في المسلمين. ويجب على ولادة الأمور إعانة العلماء المرهين الموحسين، وقمع المستدعة المشبهين المجسمين.

ومن رعم أن المعجزة قديمة قد جهل حقيقتها ولا يحل لولادة الأمر تمكين أمثال هؤلاء من إفساد عقائد المسلمين، ويجب عليهم أن يلزمهم بتصحيح عقائدهم بمباحثة العلماء المعتبرين، فإن لم يفعلوا أجنوا إلى ذلك بالحبس والصرب والتعزير.

كتبه عبدالعزيز بن عبدالسلام

### جواب الإمام ابن الحالج

من رعم أن أصوات القارئ، وحروفه المقطعة، والأشكال التي يصورها الكاتب في المصحف هي نفس كلام الله تعالى القديم، فقد ارتكب بدعة عظيمة، وحالف الضرورة، وسقطت مكالمته في المناظرة فيه

ولا يستقيم أن يقال: إن كلام الله تعالى قديم. - أو - رجب: -  
معجزة له - بوله - صلى الله عليه وسلم - فإن الله يعلم على قدر  
وإدراكه، وليس عا - نعم - وحب عبدهم ليس لحق في الله وبطهره  
ويجب على من به الأمر - وفقه الله - أحد من يعرف الله، ويعرف الله صغفاء  
المسلمين، ورجوه، ونأسيه، وحسنه عن مخالطة من يحاد منه أصلا، إلى  
أن يظهر نوبته عن اعتقاد مثل هذه الحرافات التي تأنها العقول السليمة.  
والله أعلم

كتب عثمان بن أبي بكر الحاجب

ومعلوم أن كلا الإمامين العز وابن الحاجب ممن يتلمذ على يد شيخ الصوفية  
أبي الحسن الشاذلي.

### جواب الإمام السخاوي:

كلام الله عز وجل قديم، صفة من صفاته، ليس بمحذوف، وأصوات القراء  
وحروف المصاحف أمر خارج عن ذلك...  
والصفة القديمة القائمة بذاته سبحانه وتعالى ليست المعجزة [أي العز - المثل]  
لأن المعجزة ما تحدث به الرسول صلى الله عليه وسلم - وطائفة الأتباع  
بمثله، ومعلوم أنه لم يتحدثهم بصفة الناري القديمة، ولا طائفة بالآيتين بمثله.  
ومن اعتقد ذلك، وصرح به، أو دعا إليه، فهو ضال مبسع، بل حارح عما  
عليه العقلاء إلى تحليط المجانين، والواجب على علماء المسلمين أن تظهر  
هذه البدعة إجماعها وتبين الحق. والله أعلم

عنى السخاوي<sup>1</sup>

- وسئل علماء مصر عن هتة الحشوية المعروفة بفتنة ابن مرق و ابن الكيراني  
في النصف الأخير من القرن السادس بمصر.

<sup>1</sup> تكملة السيف 46 8

### وصورة الاستفتاء:

ما قولكم في الحشوية على مذهب ابن مرق و ابن الكيزاني الذين يعتقدان أن الله سبحانه يتكلم بحروف وصوت، تعالى الله عن ذلك، وأن أفعال العباد قديمة، هل تنفذ أحكامهم على أهل التوحيد وعامة للمسلمين؟ وهل تقبل شهادتهم على المسلمين أم لا؟

### الإجابة

جواب الإمام شهاب الدين أبي الفتح محمد بن محمود الطوسي الشافعي:  
تقبل شهادة عدو لهم على أصحابهم، ولا تسمع شهادتهم على أهل الحق من الموحدين، ولا ينفذ حكم قاصيهم على الموحدين، فإنهم أعداء الحق، والله أعلم

كتبه محمد الطوسي

### جواب الإمام يوسف الأرموي

ما نص عليهم أعلاه اقترفوا حوبة عظيمة، يجب عليهم الفقول عما اعتقدوه  
كتبه يوسف الأرموي

### جواب الإمام أبي منصور ظفر الحسين الأزدى المالكي

لا تقبل شهادة من يقول إن الله تعالى يتكلم بحرف وصوت، لأنهم مرتكبون كبيرة، هي أعظم من سائر المعاصي كالزنا وشرب الخمر، لأنها كبيرة تتعلق بأصل من أصول الدين.

كتب ظفر بن حسين الأزدى

### وجواب شارح المذهب أبي إسحاق إبراهيم العراقي:

جوابي كذلك.

كتبه إبراهيم العراقي

### جواب الخطيب محمد بن إبراهيم الحموي:

من قال إن الله متكلم بحرف وصوت، فقد قال قولا يلزم منه أن الله جسم، ومن قال إنه جسم فقد قال بحدوثه، ومن قال بحدوثه فقد كفر، والكافر لا تصح ولا يقبل شهادته.  
والله أعلم

كتبه محمد بن إبراهيم الحموي<sup>١</sup>

وهناك فتاوى أخرى كثيرة للأئمة الأجلاء يؤكدون فيه نفيه الله عن الحروف والصوت.



---

<sup>١</sup> هذه لأجيبات وقد تجمع من العشوية في نصف الأول من القرن السابع الهجري وهي مبنية على  
تجيم المتعدي ورجم المعتدي "لتفخر بن المعتمد القروشي تكلمه قسيف طبع في 49 91

## مبحث الاستواء

### عقيدة ابن تيمية

- يؤمن ابن تيمية بأن الله جالس على العرش بذاته، جلوساً دائماً لا يرول . جاء في فتاويه: حدث العلماء المرصيون وأولياؤه المقربون أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم - يجلسه ربه على العرش معه<sup>1</sup> وقال في كتابه، "حديث النور" . والقول الثالث وهو الصواب، وهو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها؛ أنه لا يزال فوق العرش، ولا يحلو العرش منه، مع دونه ويروله إلى السماء الدنيا، ولا يكون العرش فوقه<sup>2</sup> . وأن استواءه على العرش بذاته<sup>3</sup>.
- والمقصود بالاستواء الجلوس والإستقرار<sup>4</sup>، وهذا المقصود هو الذي يفهمه العامة حين يسمعون لفظ الاستواء، قال يزيد بن هارون الواسطي: إن من قال الرحمن على العرش استوى خلاف ما تقرر في نفوس العامة فهو جهمي<sup>5</sup>.
- ويصرح بأن هذه العقيدة قد تصادفت النصوص النبوية من القرآن الكريم والسنة النبوية على إثباتها:
- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَغْشَى اللَّيْلُ الْمُهَارِ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> مجموع الفتاوى 374،4

<sup>2</sup> ص 66

<sup>3</sup> مجموع الفتاوى 182،5

<sup>4</sup> كما قال تعالى ﴿اسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾

<sup>5</sup> مجموع الفتاوى 148،5

<sup>6</sup> الأعراف 53

- قال الله تعالى: «تعرج الملائكة والروح إليه»<sup>1</sup>
- قال الله تعالى: «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه»<sup>2</sup>.
- قال الله تعالى: «إني متوفيك ورافعتك إلي»<sup>3</sup>.
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((فيعرج الذين ماتوا فيكم إلى ربهم، فيمألهم - وهو أعلم بهم-))<sup>4</sup>
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يرسل ربنا إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل))<sup>5</sup>.
- واحديث المعراج تؤكد هذه العقيدة وتل عليها

### التقويم

- للنصوص القرآنية المتعلقة بالاستواء .
- ظهر السباق في النصوص لغرض المتعنف بالاستواء يدل على عدم صلاحية تمييز الاستواء بالجلوس والامتناع.
- والسباق إحدى الوسائل التي تكون سببا في ظهور المعنى، يقول ابن تيمية في الفتاوى المشقة ظهور بمعنى يكون بالوضع اللعوي أو العرفي أو الشرعي أو سبب الكلام الذي يعين أحد احتمالات الشك، أو يبين أن المراد به هو مجازة<sup>6</sup>.
- ومعنى السباق أن تنظر إلى ما قبل الآية وإلى ما بعدها، أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن ابن حاتم، والبيهقي في الأسماء والصفات، عن

<sup>1</sup> المعارج 4

<sup>2</sup> طاهر 10

<sup>3</sup> آل عمران 94

<sup>4</sup> قطر منند الإمام احمد - الفتح - 19.20 - 20

<sup>5</sup> مسلم ، مجموع الفتاوى 61,5

<sup>6</sup> شرح توبة ابن القيم 131

ابن عباس في تفسير قوله تعالى: «وسع كرسيه السموات والأرض»<sup>1</sup> قال: كرسيه علمه، ألا ترى إلى قوله: «ولا يؤده حملتهما»<sup>2</sup>، فحدد معنى الكرسي، واستعان في تحديده بالجملة التي بعده.

وسئل علي بن المديني عن المعية في قوله تعالى: «ما يكون من بحوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا»<sup>3</sup>.

فقال: اقرأ ما قبله «ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض»<sup>4</sup> فحدد معنى المعية بأنها معية علم استعانة بالجملة التي قبلها.

تطبيق هذه القاعدة على النص الكريم

### المثال الأول

قال الله تعالى: «إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعشى الليل النهار يطلعه حينها والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين»<sup>5</sup>

هذا النص ورد بعد نص التكميل ليوم القيامة «اليوم يساهم كما سوا لقاء يومهم هذا» يؤكد قدرة الله على البعث والإحياء وكمال علمه، ويذكر الدلائل الدالة على ذلك:

فجملة «خلق السموات والأرض» التي وقعت قبل النص المرسوم «ثم استوى على العرش» تدل على قدرة الله التي لا يعجزها شيء، وعلى كمال علمه وإبداعه.

<sup>1</sup> الفقرة 253

<sup>2</sup> قدر المنثور 337، 1

<sup>3</sup> المجادلة 7

<sup>4</sup> مجموع الفتاوى 5/ 140

<sup>5</sup> الأعراف 93

- وجملة « يعشى الليل والنهار » ، والشمس والقمر والنجوم مسجرات بأمرة « التى وقعت بعد النص المدروس نزل كل واحد منهما على ما نزل عليه الآية الأولى.

وإذا كان الأمر كذلك وحب أن نكون دلالة جملة « ثم استوى على العرش » على ما نزل عليه باقى الجمل، وهو كمال القدرة والعلم، لأنها لو لم نزل عليه، وفسرت بالجلوس والاستقرار، لكأن كلاماً أجيباً واقعاً فى غير محله، مبتوراً عما قبله وعما بعده، لعدم دلالة على القدرة، وإيجانه بالعجز والإعياء.<sup>1</sup>

### المثال الثانى

قال الله تعالى « مسح الله ما فى السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم له ملك السماوات والأرض يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم هو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها »<sup>2</sup>

ظاهر السياق فى هذه الآيات ينل على عدم صلاحية تفسير الاستواء بالجلوس والاستقرار، لأن كل جملة فى النص جاءت فى معرض البيان والتعليل لاتجاه الكون كله لله سبحانه وتعالى. تسبيحاً، وتمجيذاً، وتعبداً:

- وجملة « وهو العزيز الحكيم » التى تعبر عن أنه القوي الذى لا يعطب، صاحب العلم الذى لا يحطىء. سبب من أسباب اتجاه من فى الكون لله، لأن العزيز الحكيم ملجأ للمستضعفين، وأمل للمقهورين.

- وجملة « لله ملك السماوات والأرض يحيى ويميت » تؤذن بما تؤنس به الجملة الأولى، لأن الحصوع سببه الرجاء فى فصله أو الخوف من عذابه، وملكه

<sup>1</sup> انظر تفسير الرازى 228، 4

<sup>2</sup> الحديد 4-1

للحراب والإحياء، يعبر عن الرجاء فيه، وانفراده بالاعدام والإماته يدل على الحواف منه

- وحمله \* هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام \* تدل على ما تدل عليه الجملة الأولى والثانية من التعليل بانفراده تعالى بصفة لاهية وصفة الاتجاء إليه والحضوع<sup>1</sup>.

ولو فسرنا الاستواء في قوله «ثم استوى على العرش» بالجلوس والإسفرار لكان تفسيراً غير مناسب للمسياق، لأن الجلوس لا يعتبر سبباً من أسباب إفراد الله بصفة الحضوع، ولا هو من الدوافع التي تدفع من في الكون إلى الاتجاء إلى الله، فالمسألة بيان بين أن يكون الإله جالسا أو غير جالس.

فظهر أن تفسير الاستواء بالجلوس لا يناسب السياق، والسياق كما سبق إحدى الوسائل التي تكون سبباً في ظهور المعنى.

وهذا ما دفع الأشاعرة بما فيهم العارفين من الصوفية المتقين إلى عدم الإيمان بوجود مكان له سبحانه، لعدم ما يدل عليه. وإلى تأويل هذه الآية أو التسليم وعدم الحوض فيها.

وهم في تأويلهم مستندون لظاهر السياق، وإلى تفسيرات السلف الصالح:

- قال جابر بن زيد: سئل ابن عباس عن قوله تعالى «الرحمن على العرش استوى»؟

فقال: ارتفع ذكره وتنازه على خلقه، لا على ما قال المندس أن له أشداها وأندادا، تعالى الله عن ذلك.

- وعن مجاهد عن عبدالله بن عمر أنه سئل عن الصخرة التي كتبت على بيت المقدس، فقال له: إن ناساً يقولون، فذكر قولهم سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً فارتد ابن عمر: فرقاً وشقاقاً حين وصفوه بالحدود والانتقال، فقال ابن عمر: إن الله أعظم وأجل أن يوصف بصفات المخلوقين، هذا كلام اليهود

<sup>1</sup> فندلر تفسير التحرير والتطوير 362-396، 27

أعداء الله، إنما يقول: «الرحمن على العرش استوى» أي استوى أمره وقدرته فوق بريته.

- وقال الحسن البصري: قوله «ثم استوى على العرش» يعنى استوى أمره وقدرته ولطفه فوق خلقه، ولا يوصف الله بصفت الخلق، ولا يقع عليه الوصف كما يقع على الخلق.

- قال الربيع بن حبيب يلعبى عن ابن مسعود والصحاح بن مراحم أنهما قسالا: «استوى على العرش» استولى<sup>1</sup> عليه وعلى الأشياء كلها، فحصعت ودانت، وقد تقول العرب: استوت لفلان نبياء، أي أنته نبياء على ما يريد، واستوى يشر على العراق والحجار، واستوى لنا الأمر، واستوى فلان على مال فلان، يريسون أنه احتوى عليه وحازاه ويحو ذلك وجوانبا في قوله تعالى: «الرحمن على العرش استوى» ما قاله عبادة ابن عباس، وابن عمر، والحسن، ومجاهد أنه ارتفع ذكره وتلاوه ومجده وعظمته.

تعالى عما قال المسدون أن له ناددا وأشباهها، تعالى الله عن ذلك وأن ابن عمر في حديث الصخرة ارتعد فرقا وشفقا حين وصف الله بالزوال والانتقال، وقال: هذا كلام اليهود أعداء الله قالوا: إنه لم فرغ من خلق السموات والأرض، استوى على العرش، ووضع إحدى يديه على الأخرى، واستراح، فكذبهم الله بقوله «وما منا من لعب»<sup>2</sup> وبقوله «ليس كمثله شيء»<sup>3</sup> ويلاحظ في تفسيرات السلف لهذا النص «ثم استوى على العرش»<sup>4</sup>:

1. أنها تدور حول كمال القدرة والعلم، فارتفاع الذكر سبحانه كمال القدرة والتصرف، واتساع العلم والإحاطة.

2. أن العرب تعرف الاستواء بمعنى الاستيلاء، وتسلم بأن الاستيلاء على الأشياء قد يحدث بدون معالية، فقولهم «استوى فلان على مال فلان» يدل عندهم على الاحتواء والحيارة، والاحتواء والحيارة قد يحدثان بلا ملازمة، ويرى ابن

<sup>1</sup> سيأتي توجيه هذا المعنى

<sup>2</sup> مسند الجامع الصحيح بإمام الربيع بن حبيب بن عمر - زُردى البصري حد يبعه 36,3 و 39 و 40

نقلا عن كتاب ابن تيمية ليس ملحقا للشيخ منصور عويص.

نِيمية ابن معنى الاحتواء هو الاستيلاء، وأنه أي الاحتواء - يجور وصفه به، يقول في فتاويه معلف ومسلما يقول ابن أبي زيد القيرواني في رسالته "على العرش استوى وعلى الملك احتوى" تفرق بين الاستواء والاستيلاء على قاعدة الأئمة للمتبعين<sup>1</sup>.

يعنى بقوله هذا، أن الفعل الأول "استوى" يدل على غير ما يدل عليه الفعل الثاني "احتوى" فالفعل الأول يدل عنده على الاستواء الطاهر على العرش أي الجلوس عليه - والفعل الثاني يدل على الاستيلاء على الملك، فيصير معنى الجملة الثانية: استولى الله على الملك.

وتحليله هذا يؤدي به إلى مناقضة نفسه، لأنه قال قبل قوله هذا بثلاث وأربعين صفحة: لا يجور استوى بمعنى استولى إلا في حق من كان عاجزا ثم طهر، والله سبحانه لا يعجزه شيء، والعرش لا يعالیه في حال، فاستمع أن يكون بمعنى استولى<sup>2</sup>.

وما معه ابن نيمية لا يمتنع، لأننا عرفنا من قبل حين تشعب أسلوب التعبير القرآني، وعادته في الاستعمال أن يفعل التعبير في النكح والاستواء منها - تقوم بها وتباشرها الملائكة والأرواح العلوية «فالمندرات أمراء» والملك حين يتعامل مع الأشياء قد يواجه بالمقدومة وعدم الانقياد، وقصة سيدنا موسى عليه السلام - مع ملك الموب حين لطمه على عصبه وحسره غير بعيدة عما<sup>3</sup> وقصة الأرض مع عزرائيل كسب، حس كنف سحيمع التراب الذي سيخلق منه آدم، فاستعادت بالله، فأحده قهرا عنها

3. أن السلف الصالح يقصد بالعلو علو الصفة لا علو الذات، ولهذا، فما ورد سابقا عن مجاهد أن الله علا بقرته، يفسر ما ورد عنه مطلق في البحري في تفسير قوله تعالى: «الرحمن على العرش استوى» بأن معناه علا

<sup>1</sup> مجموع الفتاوى 189,5

<sup>2</sup> المرجع السابق والجزء 146

<sup>3</sup> مسند الإمام أحمد - فتح - 103,20

وتفسير العلو العبره لا الذات الذي يفقه الإسم الربيع هو الذي قال به ابن جرير الطبري، الذي يسلّم له ابن تيمية بكل ما في تفسيره قال ابن جرير: فكذلك قيل علا عليها علو ملك وسلطان لا علو سعال وزوال<sup>1</sup>.

وقال في تفسير قوله تعالى: «وهو العلي العظيم»: يعنى والله العلي، والعلو الفعل، من قولك علا يعلو علواً، إذا ارتفع، فهو عالٌ، وعليّ، والعلو هو العلو والارتفاع على خلقه بقدرته<sup>2</sup>.

وتفسير العلو بالعلو المعنوي لا الحسي هو الذي يليق بجلال الله له:

أ. أنه لا شأن ولا شرف في علو المكار، إنما الشأن في علو القدر، فكم من حادم وحارس يكون جالماً على السطح لنأدية بعض مأموراته، وسيده جالس تحته في الأسفل على عرشه، «وله المثل الأعلى في السماوات والأرض» والأعلى هنا هو العلو المعنوي.

ب. أن العلو المعنوي كمال القدرة - يدل على الانفراد والتميز عن الأنداد، بخلاف العلو الحسي، فتشاركه فيه بعض المخلوقات، وهو اللوح المحفوظ على ما جاء في الحديث الشريف ((لما قصى الله الخلق كتب كتاباً عنده، غلبت أو قال سبقت رحمته غصبي، فهو عنده فوق العرش))<sup>3</sup>.

وهذا الحديث يدل كما قال ابن حجر - على أن اللوح المحفوظ فوق العرش<sup>4</sup> ولا يصح تأويل كلمة "فوق" الواردة في الحديث بأن المقصود بها "تو" لمب جاء في رواية ابن حبان وهو مرفوع فوق العرش التي صرححت بسالرفع، وكذلك رواية السبائي. فهو عنده على العرش<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> تفسير ابن جرير 1، 192.

<sup>2</sup> المرجع السابق 9، 3.

<sup>3</sup> البخاري - فتح 310، 17.

<sup>4</sup> فتح الباري 310، 17.

<sup>5</sup> قاعدة السبئية للمحدث الهروي 202.

ج. أن العلو المعنوي يدل على اتصاف الله بصفة العلو أولاً، بخلاف العلو الحسي -علو داته على العرش- فيعبر عن أنه لم يكن موصوفاً بهذا الوصف قبل أن يخلق العرش، لعدم وجود مكان في الأرض، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كان الله ولم يكن شيء غيره))<sup>1</sup>

وقد أجمع السلف على أن صفات الله قديمة غير محدثة

وبناء على ما سبق نستطيع أن نقول إن لفظ العلو لا يقتضى علو الذات على العرش، يقول ابن تيمية: فإن كان لفظ العلو لا يقتضى علو داته فوق العرش، لم يلزم أن يكون على العرش، وحينئذ فلفظ النزول وبحود يناول قطعاً، إذ ليس هناك شيء يتصور منه النزول<sup>2</sup>.

### مقارنة بين تحليل ابن تيمية للنص<sup>3</sup> وتحليل الأشاعرة

1. تفسير الأشاعرة الذي يراعي السياق، يتناسب مع الحصر القرآني للمتشابه<sup>4</sup>

﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾<sup>5</sup>

لاحتياجه إلى النظرة الكلية للنص، ونوقفه على فهم العلاقات بين الجمل .  
بينما تفسير ابن تيمية بخلاف هذا الحصر، يمكن العامة من تأويله بسبب عدم احتياج التأويل فيه، إلا إلى شطر الحرفي والمعنى الحرفي لكلمة استوى، الذي يحدده أي قاموس مدرسي .

2. تفسير ابن تيمية فيه تعريق لتجمل، وبصنع موحدة أخيه النص، لاقتصاره في التحليل على دراسة جملة واحدة منه ((ثم استوى على العرش)) و لا عراض عما سواها.

الحديث في البحار: لقد تقدم ذكره، وذكر الفرد على ابن تيمية في ربه، فراجع في مبحث الصور

<sup>2</sup> مجموع الفتاوى 579,5

<sup>3</sup> أي نص لآية الاستواء

<sup>4</sup> قبل إمام الشافعي هذه الآية [ثم استوى على العرش] من تشبيهه بعبه «أكبر» ص 17

<sup>5</sup> آل عمران 7

بينما تفسير الأشاعرة يستوجب الالتفات عند التحليل إلى أول الكلام وحرره، وما اقتضاه الحال، لا ينظر الباحث في أوله دون حرره، ولا في آخره دون أوله، حتى يتبين له المراد، يقول ابن تيمية التأويل المقبول هو ما دل على مراد المتكلم<sup>1</sup>.

3 تحليل ابن تيمية يسها إلى الفصور في المبهج الذي أنعمه هو وأشياحه لأقدمي، الذين جمعوا هذه النصوص ميتورة من سياقها في كتب وفتاوى للإيحاء بأن المقصود بها الحقيقة والظاهر.

يقول لإمام العراقي من الأشاعرة- في كتابه إجماع العوام عن علم الكلام- عن النص المنشأه. لا يفرق بين مجتمعه، فإن كل كلمة سابعه على كلمة أو لاحقة لها مؤثرة في تفهيم معناه مطلقاً<sup>2</sup>.

4. عمق التحليل عند الأشاعرة يدلنا على صحة تفسيرهم لمصطلح التأويل بأنه

صرف للفظ عن طهره الحرفي المعروف عند الدس، بينما النتيجة غير الصحيحة لتحليل ابن تيمية للنص المنروس، تلك على عدم صحة تفسيره لهذا المصطلح بأنه الأحد بالظاهر الحرفي الذي يفهم العامة من اللفظ

5. تفسير الأشاعرة الناتج عن النظرة الكلية وليس في النص، يفتح الباب لاتجاهين في تحليل نص «ثم استوى على العرش»

أ. الاتجاه لأول يقتصر على الفهم العام للجملة، وهي أنها تدل على كمال قدره والعلم دون تحديد بدلالة حاصه للجملة في دور تأويلها بأنها تدل على صفه الملك، أو أنها تعبر عن الاستيلاء أو غيره.

وهذا الاختصار يدخل في دائرة التفويض أي تفويض المعنى الخاص المقصود من الجملة إلى الله-

والتفويض الذي لا يحدد معنى الجملة الحاصر، ويقتصر على الفهم العام لا يعارض التفسير<sup>3</sup>، بل هو ناتج من نتائج، لأنه مأخوذ من دراسة السياق،

<sup>1</sup> نزهة القموض 1، 201.

<sup>2</sup> ص 76.

<sup>3</sup> أي عند قراءة النص الديني «فلا يتبدلون» قرآن

والتأمل فيه، مفروفا بحشية الله من الاتحاد في أسمائه وصفته، بأن يدخل فيه ما ليس منها، أو يصيف إليها ما هو خارج عنها لأن ما يتعلق بالله وصفاته شيء وراء العقل، لا يمكن أن يصل إليه الإيمان إلا بأن يفسد الله على نفسه، وذلك خطأ كبير " ومخالفة صريحة لقوله تعالى: «ليس كمثله شيء»

ب. تحديد المعنى الحاصل لحملة "استوى على العرش" استعانة بالجزم التي بعد النص في آية الأعراف «يعشي الليل المهار يظلمه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره» التي تتحدث عن الأمر الإلهي للكون والقهر له، ولأمر والقهر من لوازم الملك، فيكون المقصود بجملة «ثم استوى على العرش» صفة الملك على سبيل الاستعارة التمثيلية والمجاز المركب<sup>1</sup>. قال الشاعر:

فلما علو واستوب عندهم تركناهم صرعى لئس وكاسر<sup>2</sup>

وسواء قلنا بالاتجاه الأول أو الثاني، فالمعنى العام المفهوم من الجملة معلوم عند الجميع، وهو الصرف عن الطاهر الحرفي للفظ ((استوى)) والمعبر به عن كمال القدرة.

ولهذا لما سئل الإمام مالك عن قوله تعالى: «الرحمن على العرش استوى» كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول<sup>3</sup>.

أي معنى الاستواء في الآية معلوم عند أهل النسخ القاهرين لأسرار العربية وابن تيمية يفسر قول الإمام بأن المقصود منه الجلوس، لأنه المعنى المعلوم عند العامة.

### أضحي الإسلام 19.3

المجاز المركب دُغم فيه على معنيتين، وتجاوز حاصل في معنى بهينه التركيبية لا في مفرداتها، فكذلك تسميته "رب تقدم رجلاً وباجر آخرى" وإن لم يحدث منه شيء ولا خير من جرس وجاء في المصباح غير وسوى على سرير الملك، كناية عن الملك وإن لم يجرس منه سوى

<sup>1</sup> الجعر المحيط 291.

<sup>2</sup> نطق الإشارات في معاني الأسماء والصفات للأصمعي 311

وتفسيره يترد بالإمام إلى مستوى العظمة فيبر لا يركون ذلك هو  
ويمكن أن يكون المقصود بقول الإمام "والاستواء معبود في معبود معبود  
السلف، والسلف كما سبق يفسرونه بما يدل على كمال القدرة والعظمة والحد  
النشأ، لا على الجلوس والاستقرار الذي قد يوحى بالعجز والإعياء  
وتمام جواب الإمام مالك "والكيف غير معقول" أي كيف صفة المنك وحم  
أو غيرها غير معقول، لأن الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات، والذات  
الإلهية لا كيف لها ولهذا جاء في بعض الروايات عن الإمام، "ولا يقل كيف  
وكيف عنه مرفوع"<sup>1</sup>، قال سيدنا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - حين  
سأله اليهود عن كيفية الله: "بل هو بلا كيف"<sup>2</sup>.

فالدات والصفة الإلهية ليس لها كيف أصلاً، خلاف ما يقول ابن تيمية من ر  
الاستواء صفة الذات، وكيفية مجهولة، تعالى الله عما يقول:  
قال الصحابي الحنبل - علي بن أبي طالب - رضي الله عنه "سبحانه وتعالي  
عن تكيف الصفات"<sup>3</sup>

قال الحافظ ابن الجوزي رضي الله عنه - في كتابه دفع شبه التشبه  
ص 41 69: وأما ما نسب إلى الثوري، ومالك، وابن عيينة، والحماد، وأحمد،  
واسحاق، وغيرهم من أنهم متفقون على أن الله فوق العرش بذاته، فهو على  
فرض ثبوته عنهم، لا يستلزم أن الله مكاناً، تعالى الله عن ذلك، فإن معناه أنه  
تعالى عالي الرتبة والمكانة، مستحق ذلك بذاته لا بغيره؛ من كثرة الأموال  
والجود كفضيلة المحلقات، وما قاله الحافظ متوافق مع تأويلات ابن عباس  
ومجاهد والحسن وغيرهم التي سبق ذكرها.

6 نأويل ابن تيمية بأن الله لا يراد على العرش، ولا يخلو منه العرش، يتعارض  
مع منهجه في التناويل الذي يدعو إلى الأحد بالظهور، جاء في الحديث الشريف

<sup>1</sup> المراجع السابق والصحة

<sup>2</sup> حلية الأولياء 72، 1

<sup>3</sup> المراجع السابق

الذي يتحدث عن آخر أيام الدنيا بعد موت الملائكة - "وأصبح ربك عز وجل يطيف في الأرض، وحلت عليه البلاد"<sup>1</sup> الذي يدل على حسب مسيح ابن تيمية على وجود الله في الأرض وعلى خلق العرش منه. فهو بين حنارس. إما أن يصل على عهده بأنه لا يخلو منه العرش فيتعارض مع الحديث الشريف، أو يؤوله فيتعارض مع منهجه.

7 تفسير ابن تيمية للاستواء بالاستقرار والجلوس يخالف به معتقدات السلف الصالح الذين يؤمنون بأنه ليس على مكان:

- قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه : كان الله ولا مكان، وهو الا على ما عليه كان .

- قال جعفر الصادق - من رعم ان الله في شيء، أو من شيء، أو على شيء، فقد أشرك، اد لو كان على شيء لكان محمولاً، ولو كان في شيء لكان محصوراً، ولو كان من شيء لكان محدثاً<sup>2</sup> .

- قال الإمام أبو حنيفة: نرى بأن الله تعالى على العرش استوى، من غير أن يكون له حاجة واستقرار عليه<sup>3</sup>.

- قال الإمام الشافعي في كتابه الفقه الأكبر : اعلمو أن الباري لا مكان له، والدليل عليه، هو أن الله تعالى كان ولا مكان، فخلق المكان، وهو على صفته الأريسة كما كان قبل خلق المكان، لا يحور عليه التعبير في دانه والتبديل في صفاته، ولأن ماله مكان، وله تحت، متناهي الداب محدود، والمحدود مخلوق، تعالى الله عن ذلك<sup>4</sup>.

- قال الإمام الحافظ ابن اله بي. والذي يجب أن يعتقد في ذلك أن الله كان ولا شيء معه، ثم خلق المخلوقات من العرش إلى العرش، فلم يتعين بها، ولا حدث

<sup>1</sup> روى عبد الله والطبراني بخبره، وأحد طريقتي عبد الله إسناداً متصل ورجالها ثقات مجمع الزوائد

343 341 1

<sup>2</sup> الرسالة القشيرية 6

<sup>3</sup> هذه عقيدة السلف 22-23

<sup>4</sup> من 17

له جهة منها، ولا كان له مكان فيها، فيه لا يحول ولا يروى، وودوس لا يتغير ولا يستحيل<sup>1</sup>.

- قال الإمام أبو منصور، المحدث للفقهاء الذي وضعه ابن حجر بأنه الإمام الكبير، إمام أصحابنا الشافعية، وأجمع أصحابنا على إحالة القول بأنه في مكان، أو في كل مكان<sup>2</sup>.

- قال الإمام القرطبي من أئمة المالكية في كتابه للفتاوى ص 208 ورد الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه - على الفئتين بالجهة منسوط في العواصم عن القواصم لابن العربي .

- وجاء في كتاب المنهاج القويم شرح ابن حجر الهيتمي على المقدمة الحصرمية ص 224 - وأعلم أن القرافي وغيره حكوا عن الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة - رضي الله عنهم القول بغير الفئتين بالجهة

وقد ذكر المحدث المشهور ملا علي الفارسي أن السلف والتخلف اتفقوا على أن من اعتقد أن الله في جهة فهو كافر، كما صرح به العراقي وبه قال أبو حنيفة ومالك والشافعي وأبو الحسن الأشعري والباقلاني<sup>3</sup>.

- قال الإمام القرطبي في تفسيره - ووصفه بالعلو والعظمة، لا بالأماكن والجهات والحدود، لأنها صفات الأجسام، وإنما ترفع الأيدي بالدعاء إلى السماء، لأن السماء مهبط الوحي، ومنزل الفطر، محل القدس<sup>4</sup> كما جعل الله الكعبة قبلة للدعاء والصلاة، ولأنه خلق الأمكنة وهو غير محتاج إليها، وكان في أرضه قبل خلق المكرب والرمال، ولا مكان له ولا زمان، وهو الآن على ما عليه كان<sup>5</sup> وكلامه رضي الله عنه - هنا صريح في بغي اتجاهه والمكان عن الله، وفي تأويل العوقية والعلو بأنه علو العظمة وكمال القدرة، ولهذا فما ورد عنه في

<sup>1</sup> الفروض 232,2

<sup>2</sup> المفيدة الطحاوية - الهروي 171

<sup>3</sup> فلا عن كتاب الوعائية في قضاء من 9

<sup>4</sup> شرح المشكاة 300,3

<sup>5</sup> الجمع لأحكام القرآن 216,18

تفسير سورة الأعراف بأن الله نطق في كتابه بإثبات الجهة فسبق قديم، لأنه لم يرد لفظ الجهة في كتاب الله، ولا ثبت في عبارات السلف وما ثبت عنه وعليهم هو إثبات لفظ العوقية، والعوقية عندهم وعندهم فوقية معنوية كما سبق .

قال العلامة المحدث الكوثري : لم يقع ذكر الجهة في حق الله سبحانه في كتاب الله، ولا في سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ولا في لفظ صحابي أو تابعي ولا في كلام أحد ممن تكلم في ذات الله وصفاته من الفرق سوى أقحاح المجسمة، واتحدى من بدعي خلاف ذلك، أن يسند هذا اللفظ إلى أحد منهم بسند صحيح، فلم يجد إلى ذلك ميلاً، فصلاً عن أن يتمكن من إسده إلى الجمهور بأمانيد صحيحة<sup>1</sup>.



## الدليل الثاني

من الأدلة التي استدل بها ابن تيمية على أن الله على العرش قوله تعالى: ﴿أَمْسِمْ  
مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْبِتَ بِكُمْ الْأَرْضَ إِذَا هِيَ تَمُورُ أَمْ أَمْسِمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَرْسِلَ  
عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ﴾<sup>1</sup>

### التقويم

(1) هذا النص مساو للحديث الشريف ((أرحموا من في الأرض يرحمكم من في  
السما))<sup>2</sup> في التعبير والدلالة على المتحدث عنه.

وفي التعبير عبر كل منهما بلفظ "في" التي تدل على الطولية.

وفي الدلالة دل كل منهما على المتحدث عنه بواسطة "من" الموصولة الموصوعة  
للعاقل وعلى مكان وجوده وهو السماء فعارة "من في السماء" في الآية والحديث  
متحدة في التعبير والمضمون.

وقد جاء نيان الشخص المتحدث عنه، المعبر عنه بـ "من" في حديث ((يرحمكم من  
في السماء)) فيما رواه أحمد أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:  
((الراحمون يرحمهم الرحيم، أرحموا أهل الأرض، يرحمكم أهل السماء))<sup>3</sup> أي  
الملائكة بالدعاء والاستغفار والمشفاعة والجدّة والإنقاذ.

ولما كان التعبير في الآية والحديث متحداً كما سبق بيانه كان هذا دليلاً على أن  
المقصود "من في السماء" في الآية الكريمة هم الملائكة أو الأرواح العلوية،  
يخوف الله بهما عباده العاصين:

أخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبو الشيخ في العظمة عن ابن  
سابط رضي الله عنه - وكل جبريل عليه السلام - بالهلك، إذا أراد أن يهلك  
قوماً كان صاحب تلك، وكل أيضاً بالنصر في الحروب، إذا أراد الله أن ينصر<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الملك 16، 17

<sup>2</sup> حديث صحيح الجامع الصغير - المولى 141، 1

<sup>3</sup> مسند الإمام أحمد 160، 2

<sup>4</sup> قدر السطور 15، 6

• وأخرج أبو الشوح في العظمة عن الصحاح قال: الروح أعظم الملائكة، لو فصح فاه لوسع جميع الملائكة، والخلق إليه ينظرون، فمن مخافته لا يعرفون طرفهم إلى من فوقهم<sup>1</sup>، قال الله تعالى: «يخافون ربهم من فوقهم» أي يخافون جسده وعنده الذي هو فوقهم، وأسند الله لنفسه الخوف باعتباره الخالق والمعد والمكلف له

• وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في قوله «فطمسنا أعينهم»<sup>2</sup> قال: ذكر لنا أن جبريل استأذن ربه في عقوبتهم ليلة أتوا لوطاً، وأنهم عاجلوا الباب ليحطوا عليهم، فصعقهم بجناحه، فتركهم عمياً يترددون.<sup>3</sup>

• وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن حذيفة بن اليمان في قصة هلاك لوط فاستأذن جبريل - عليه السلام - في هلاكهم، فأذن له، فحتمل الأرض التي كانوا عليها، وأهوى بها ثم قلبها بهم<sup>4</sup> ومسكن جبريل والروح في السماء.

(2) علماً من قبل حين تتبعنا أسلوب التفسير القرآني، أن مباشرة الأفعال في تدبير هذا الكون قولاً وعطاءً وأحداً وعداباً وانقضاء موكولة إلى الملائكة الكرام<sup>5</sup> فالصدمات أمراً<sup>6</sup> والحسب والارسال منها، وظاهر الآية يتكلم عن المباشرة للفعل "حسب يرسل" وهو ما تدل عليه قاعدة ابن تيمية في تاويل النصوص التي تقول إن الأفعال التي جاءت بصيغة الجمع تدل على الله باعتباره الأمر، وتدل على الملائكة باعتبارها المباشرة للفعل<sup>7</sup> وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل<sup>8</sup> وقد أثبتنا من قبل أن هذه القاعدة لا تختص بصيغ الجمع.

<sup>1</sup> الدر المنثور 344,6

<sup>2</sup> القمر

<sup>3</sup> الدر المنثور في التفسير بالمأثور 151,6

<sup>4</sup> الدر المنثور 373,3

<sup>5</sup> القلعات<sup>5</sup>

<sup>6</sup> تخفت

<sup>7</sup> القمر 74

(3) مما يدل على أن المقصود بمن في السماء في الآية الأولى<sup>1</sup> هم الملائكة، أن الآية الثانية<sup>2</sup> المقارنة لها والمماوية لها في التعبير «من في السماء» تحدث عن الملائكة، فهم المكلفون بمهمة إرسال الحاصب والحجارة، قال تعالى في قصة إبراهيم -عليه السلام- مع الملائكة: «قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم محرمين ليرسل عليهم حجارة من طين»<sup>3</sup>

وحلاصة القول أن القرائن المنفصلة في الآية واللفظية فيها، وعادة الاستعمال يدلان على أن المقصود بمن في السماء هم الملائكة.



<sup>1</sup> أي قوله «المنتم من في السماء» لن يخسف بكم الأرض إذا هي تمور»  
<sup>2</sup> أي قوله «لم أنتم من في السماء» أي يرسل عليكم حاصب»  
<sup>3</sup> سورة هود 31-33

## الدليل الثالث

قوله صلى الله عليه وسلم ((يرسل ربنا إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل))

يدل هذا الحديث الشريف عند ابن تيمية على أن الله فوق عرشه، يرسل في آخر الليل، يحاطب عباده المؤمنين، لأنه إذا لم يكن فوق عرشه الأعلى، فمن أين يكون النزول

### التقويم

1. تقدم في بحث الاسماء أن لفظ العلو في النصوص الدينية، لا يقتضي علو الذات الإلهية على العرش، وإذا لم يكن يقتضيه -كما قال ابن تيمية- لم يلزم أن يكون على العرش، وحيد فلفظ النزول وبحوه يتناول قطعاً، إذ ليس هناك شيء يتصور منه النزول<sup>1</sup>.
2. اعتمد ابن تيمية في تحليله للحديث على مجرد الاسماء في الجملة ((يرسل ربنا)) بدون بحث في عادة الاستعمال الشرعي في التعبير في أمثال هذه النصوص، التي تدل على أن المباشر للفعل هم الملائكة، وأمسد الله الفعل لنفسه باعتبار أنه الأمر وهو تقدم بيان العادة، والكلام على هذا الحديث عندها، فراجعه إلى شنت.
3. لو أحداً بتحليل ابن تيمية للحديث لحاطبنا العقل بما لا يسلمه، لأن حدى السماوات قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن السماء أظن وأحق لها أن تنطق، ما فيها موضع أربع أصابع، إلا ملك وأصع جبهته ساجداً لله))<sup>2</sup> وهذه السماء إما أن تكون السماء الدنيا أو غيرها، فإن كانت السماء الدنيا، فإن سيزل الله، هل يكون داخل السماء، والسماء ملبنة بمكانها، أم يكون خارجاً عنها، والحديث يقول إنه يرسل إليها؛ ولي كانت غيرها، فمن أين سيرسل الله إليها اللهم

<sup>1</sup> مجموع الفتاوى 579,5

<sup>2</sup> أخرجه الترمذي وحسنه وابن ماجه وابن مردويه في المصنف 318,5

ألا ان يحشر نفسه ويجمع داته في معراج الأعمال، ومصعد الأقوال، والملائكة الكرام !!

وعلى فرص تغريمها من الملائكة وقت النزول وهو ما لا دليل عليه- فكيف تحمل السماء الرب، وابن تيمية يؤمن بأن حجم السماوات السبع والأرضين السبع كحردلة في يد الرحمن<sup>1</sup>، فهي لا تكفي لملء يده، فكيف تسع داته؟

4 تحليل ابن تيمية يؤدي إلى حلو السماوات السبع من الملائكة والجنة والبار، لأن عقيدته أن الله يدرل إلى السماء الدنيا، ولا يحلوا منه العرش، وداته متصلة لا حد لأعلامها<sup>2</sup>.

فيكون مكانه في الشطر الأخير من الليل متسعا من السماء الدنيا إلى العرش الأعلى، ويسمح كل ما في السماوات حتى الجنة والبار، لامتلاء المكان بالسدات الإلهية، وسينوم هذا الإنحاء بدوام هذا النزول، مع كل ليل، والنيل لا يقطع عن الكرة الأرضية.

5. لو أحدا بتحليل ابن تيمية لنناقضا مع ظاهر الحديث الشريف، فالظاهر عنده على أن الله مستقر على عرشه طيلة النهار، لا يدرل منه إلا في الشطر الأخير، و تحليله يستلزم أن يكون الله في نزول داته بدوام النيل في الكرة الأرضية، وعليه فلا يوجد له استقرار على العرش.

### الدليل الرابع

عن عمر بن الحكم أنه قال . أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقلت: يا رسول الله، إن جارية لي كانت ترعى غنما لي، فجننتها وقد فقت شاة من الغنم، فسألتها عنها، فقالت: أكلها الذئب، فأسعت عليها، وكنت من بني ادم، فاطمعت وجهها، وعلى رقبة، فأعنتها ؟

<sup>1</sup> مجموع الفتاوى 439، 16

<sup>2</sup> وقد صرح بها أيضا إمام ابن تيمية هو معنى الحديث في كتابه "بطلان التنزيلات" نكمة السوف 116

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم - ((ين سم؟))

فقلت: في السماء

فقال: ((من أنا؟)) فقلت: أنت رسول الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((أعنفها))<sup>1</sup>

فهذا الحديث عند ابن تيمية يدل صراحة على مكان الله، ويحده بأنه في السماء.

### التقويم

هذا الحديث ورد في باب " الرقية المؤمنة التي يجوز عتقها" بوصح طريقة الكشف عن الإيمان، بالاستفسار عن أمور إذا ما وجدت في الإنسان، عُتق من رمسة المؤمنين وطائفة المصدقين.

والقارئ لهذا الحديث ولأحاديث أخرى مشابهة لهذا الحديث، كالحديث الذي ورد عن رجل من صغار أنه جاء بأمة سوداء، فقال يا رسول الله، إن علي رقعة مؤمنة، فإن كنت ترى هذه مؤمنة فأعتقها؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أتشهدين أن لا إله إلا الله؟)) قالت: نعم. قال: ((أتشهدين أني رسول الله؟)) قالت: نعم. قال: ((أتؤمنين بالله بعد الموت؟)) قالت: نعم. قال: ((أعتقها؟))<sup>2</sup> يلاحظ:

1. أن حديث الباب عبارته ((أين الله)) لا علاقة لها بالتوحيد والإيمان، لأن الإقرار بوجود الله في السماء لا يدل لا على إسلام ولا على إيمان، فاهل الجاهلية كانوا يقولون بوجود الله في السماء ومع هذا كانوا يتحذرون منه ألهة أخرى.
2. أن الحديث الذي يسمج مع القاعدة الصريحة في الشريعة ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله))

<sup>1</sup> الموطأ - القس- 965,3

<sup>2</sup> رواه أحمد ورجاه رجال الصحيح صحيح فروع 247,4

والشهادة تخرج الإنسان من دائرة الكفر إلى دائرة الإيمان، لأنها تدل على أنه لا معبود بحق إلا الله، لأنه المستعنى عن كل ما سواه، المعتبر إليه كل ما عداه، فهي تثبت لله الألوهية، وتثبت انفرادها، وتنسب لغيره العنوية، وتجرده من كل خصائص الربوبية.

وأما التعبير بأن الله في السماء فلا يدل على الإسلام؛ لأن أهل الحاهلية - كما سبق - كانوا يقولون بوجود الله في السماء، وينحدون معه الهة أخرى.

ونحن هنا بين خيارين:

1. إما أن نقول إن اللفظ النبوي الذي عبر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واستفهم عن الإيمان به في الحديث الأول، هو ((لشهادتين أن لا إله إلا الله)) لأن الشهادة تكشف عن التوحيد وتدل عليه، فيكون الحديث مسجماً مع عنوان الباب الذي ورد فيه الحديث، ومتوافقاً مع السياق اللاحق والسؤال السابق - السؤال هدفه التأكيد من إيمان الجارية - أي هل هي مؤمنة فأعتقها، أم هي غير مؤمنة فباحت عن غيرها<sup>1</sup>.

2. أو نقول إن اللفظ النبوي الذي يطلق به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو الاستفهام عن المكان ((أين الله)) فتقطع العلاقة بين الحديث والطلب أنراها مؤمنة<sup>2</sup> أي تنقطع العلاقة بين السؤال والجواب، لعدم دلالة الاقرار بالمكان على التوحيد والإيمان، فيخرج القول عن مقتضى الحال، وما يقتضيه المقام من المقال، وبصير كلاماً غير بليغ.

وهذا ما يدفعنا إلى القول بأن لفظ "أين الله" وقعت روايته بالمعنى، وأن الراوي في إحدى الطبقات خطأ في التعبير، ودل على دلالة الآية "أين" وعن عدم علاقتها بالتوحيد والإيمان، وسها عن مورد الحديث.

فإن قيل، فيك لفظ الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو "أين الله" ولفظ الراوي هو "أشهادين" رولية بالمعنى على الصورة السابقة، فالجواب أنه لم يصح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في تلقين الإيمان طول أداء رسالته السؤال بأين، أو ذكر ما

<sup>1</sup> يعلم أن تسمية بأن المقصود بالسؤال هو استحضارها بمراد أنها مؤمنة أم لا مجموع الفتاوى 5، 192.

يوهم المكان ولا مرة واحدة في عرفة حصة حصصه - - - - -  
 كلمة الشهادة، فالتقط الجاري على تجده حرس من حارسه - - - - -  
 عليه وسلم<sup>1</sup> والدليل على نظروا إليه الإجماع بصره - - - - -  
 وعلى كل فالتحديث كان مع جزيه صغيرة نلها منحنه في نلحه العفة - - - - -  
 أن الصحابي انهم عليه حالها مع إملاكه لها وعيشها معه، فجاء يسأل برسور  
 صلى الله عليه وسلم عن إيمانها ومستوى أيلها لا يتعدى المحسوسات



<sup>1</sup> بكلمة سيف الصلح 108-109

## أدلة العروج والرفع

استدل ابن تيمية وابن القيم على وجود الله تعالى فوق العرش بالآيات الكريمة.

«تخرج الملائكة والروح إليه»

«إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه»

«يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه»

«إني متوفيت ورافعت إلي»

وجاء في الحديث الشريف ((يعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم، يسألهم وهو أعلم بهم))<sup>1</sup>.

### التفويض

(أ) في هذا الاستدلال وقوف على اللفظ المتشابه، وطرح اللفظ للمحكم، الذي بين غاية العروج، وهو قوله تعالى: «وقد رآه مرة أخرى عند سدرة المنتهى»<sup>2</sup> أي التي ينتهي إليها كل شيء، قال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها، فيقبض منها. وقال ابن عباس: سميت بذلك لأن إليها ينتهي علم الملائكة -عليهم السلام<sup>3</sup>. وكان السدرة في قول الأكثر السماء السابعة<sup>4</sup>، وفي حديث ابن مسعود أنها في السماء السادسة<sup>5</sup>. وتنتهي لعظمتها في السابعة<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> انظر مجموع النووي 136، 137 بحوية من قوم مع شهاب قصير 102

<sup>2</sup> فتح 13 - 14

<sup>3</sup> إكمال الإكمال على صحيح مسلم 309، 1

<sup>4</sup> المرجع السابق نفس المكان

<sup>5</sup> مسلم -الأب- 325، 1

<sup>6</sup> إكمال الإكمال 325، 1

وسواء كانت في السادسة أو السابعة فهي تحت العرش بمعدل عظيم، ففي حديث الأوعال الذي يومر به ابن نيمية ((وفوق السماء السابعة بحر، بين أسفله وأعله، كما بين السماء والأرض [ مسيرة خمسمائة عام ] ثم فوق ذلك ثمانية أوعال، بين ركبهم وأطلافهم كما بين السماء والأرض، ثم فوق تلك العرش، بين أسفله وأعله كما بين السماء والأرض))<sup>1</sup> فيكون ما بين سدرة المنتهى وبين بهابة العرش ما يزيد عن مسيرة ألف وخمسمائة عام.

والشاهد أن الانتهاء في العروج لم يكن لدات الله، وإنما كان لسدرة المنتهى وأصيف العروج إلى الله، كما أصيف الذهاب إليه في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام «إني ذاهب إلى ربي سيهدين» أي إلى الموضع الذي أمرني ربي أن اذهب إليه أخرج ابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما - في قوله: ((وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين)): قاله حين هاجر<sup>2</sup>

(2) أن الآيات السابعة عرفت بلفظ ((إليه)) مع اختلاف المكان الذي ينتهي إليه الرفع والعروج:

فمرج الملئكة ينتهي إلى سدرة المنتهى، ومكان السدرة في السماء السادسة أو السابعة.

ورفع سيدنا عيسى عليه السلام كان للسماء الثانية، كما جاء في حديث المعراج<sup>3</sup>

«إن أذننا بطاهر لفظ ((إليه)) وقلنا إنه يذل على مكان الله، يكون الله في مكانين، في السماء الثانية على طاهر قوله تعالى: «إني متوفيك ورافعك إني» وفي السماء السابعة على طاهر قوله تعالى «نرفع الملئكة والروح إليه»

وهذا التأويل الطاهري يحالف عقيدة ابن نيمية الذي يومر أن الله موجود فوق العرش، ويعنى هذا مخالفة ابن نيمية لمنهجه في التخليل، أو عدم تدبره لم يورده منصوص،

<sup>1</sup> مسند الإمام أحمد - الفتح 2

<sup>2</sup> قدر المنثور 304.5

<sup>3</sup> معجم - الأبي 307.1

(3) أن تحليله يؤدي إلى مخالفة تحليل السلف وعقيدتهم:

- قال حماد بن زيد: **صعود الكلام كناية عن العبور**<sup>1</sup>.
- قال علي بن أبي طالب **رصى الله عنه** - كان الله ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان، ويمثل قوله قال الشافعي وجعفر الصادق وكثير من السلف، وقد سبق ذكر أقوالهم وعقيدتهم.



<sup>1</sup> إكمال الإكمال 309، 1 وحماد بن زيد من يستدل به ابن تيمية.

## حديث المعراج

استدل ابن تيمية<sup>1</sup> بحديث المعراج على وجود الله فوق العرش، وعلى تحديد مكانه. سبحانه وتعالى عما يقولون.

### التقويم

لم يرد في حديث المعراج - كما قال ابن جهل - أن الله فوق السماء، أو فوق العرش حقيقة، ولا كلمة واحدة من ذلك.

قال: وهو لم يسرد حديث المعراج، ولا بين وجه الدلالة منه حتى يجيب عنه، فلو بين وجه الدلالة لمرها كيف الجواب عنه<sup>2</sup>.

وما جاء في حديث المعراج أن موسى عليه السلام - قال للرسول صلى الله عليه وسلم - ((ارجع إلى ربك)) يساوى في التعبير والدلالة قوله صلى الله عليه وسلم : ((يعرج الير باتوا فيكم إلى ربكم))؛ ففي التعبير عبر كل منهما بتعطف ((إلى ربكم)) والميم في أحدهما علامة الجمع.

وفي الدلالة دل كل منهما على الموضع المقصود الذي جاء بيانه في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود قال: أُمِّي برسول الله صلى الله عليه وسلم - انتهى به إلى سدة المنتهى إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها منها<sup>3</sup>.

وفي الحديث أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ثم ذهب بي إلى سدة المنتهى فلما غشيها من أمر الله ما غشي تعيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فلوحي الله إلي ما أوحى، فمررت على حمسين صلاة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> مجموع الفتاوى 17، 5

<sup>2</sup> تكملة السيف الصقل 102

<sup>3</sup> مسلم - الأبي - 325، 1

<sup>4</sup> المرجع السابق والجزء 308-309

وسدرة المنتهى في القول الصحيح موجودة في السماء السادسة . وفي القول الأصح موجودة في السماء السابعة، والقول الأصح هو قول الأكثر، كما قال الحافظ عياض<sup>2</sup>.

بينها وبين نهاية العرش نور عظيم، لا يقل عن مسيرة ألف وحسمانة عام على حسب حديث الأوعال الذي يؤمن به ابن تيمية، وبينها وبين بداية العرش ما لا يقل عن ألف عام كما حكاه ابن تيمية في الرسالة الحموية ص122 حين قال بين السماء السابعة والكرسي حمسمانة عام، وبين الكرسي والماء حمسمانة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش.

والنتيجة مما سبق أن مكان السدرة -أي مكان الوحي في ليلة المعراج- ليس مكان وجود الله، وهذا يدل على أن عبارة سيدها موسى في قصة الإسراء والمعراج "ارجع إلى ربك" فيها مصاب محدوف، ويكون المعنى إلى موضع ربك المقدس الذي خصصه للمحاطبة.

والإضافة لها للملكية والتشريف، كقوله تعالى: «باقلة الله» وكقوله صلى الله عليه وسلم عن الكعبة: ((بيت الله))

وعلى كل فلا يصح أن يكون مكانا لله عند ابن تيمية، لأنه ليس المكان الأعلى. وابن تيمية هنا بين خيارين:

— إما أن يسلم بتحديد أغلب الصحابة لمكان سدرة المنتهى بأنها في السماء السابعة، وأن بينها وبين العرش نور عظيم، فتتفق الدلالة في حديث المعراج على أن الله مكانا.

— وإما أن يأخذ بقول ابن عباس بأن مكان سدرة المنتهى في يمين العرش<sup>3</sup>. ويعتبر قوله حجة، فيصطدم بما صرح به في فتواه حين قال: لا يكون قول بعض الصحابة حجة مع مخالفة بعضهم له باتفاق العلماء<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> المرجع السابق 325،1

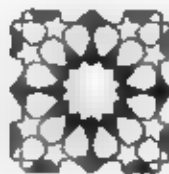
<sup>2</sup> إكمال الإكمال على مسم 325،1

<sup>3</sup> إكمال الإكمال 325،1

<sup>4</sup> مجموع الفتاوى 14،20

وابن عباس لم يأخذ المعلومة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما أخذها عن كعب<sup>1</sup> الأحبار، الذي يستند في رواياته على الإسرا ئيليات وحطاب الله للرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك المكان لا يدل على أن الله في جهة، قال إمام الحرمين الجويني عن الحديث الشريف: ((لا تفصلوني على يونس بن متى))<sup>2</sup> إن هذا الحديث يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو عند سدرة المنتهى، لم يكن بأقرب إلى الله من موسى -عليه السلام- وهو في بطن الحوت في قعر البحر، فدل ذلك على أنه مبره عن الجهات، وإلا ما صح النهي عن التفضيل<sup>3</sup>.

قال الإمام مالك: إنما حص يونس للتزيه<sup>4</sup>، أي تزيه الله عن الجهة ويونس عليه السلام كان في مقام المحاطبة، فهو القائل في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وحطابه في بطن الحوت لله سبحانه، لا يدل على أن الله موجود فيه.



<sup>1</sup> قدر المنثور 139,6

<sup>2</sup> تكملة الصف 41

<sup>3</sup> نقل هذا القول عن الإمام مالك الإمام المالكي بنصر فدين بن السير في كذبه ((المقتنى في شرف المصطفى)) المرجع السابق والصفحة.

## أدلة أخرى

أورد ابن تيمية وابن القيم في كتبهم أحاديث أخرى، تكسر عليها معاد الحديث بالتصنيف والرد، ومنها:

(1) حديث سعد بن معاد: "لقد حكم اليوم فيهم بحكم الله تعالى" - "حكم به من فوق سبع سماوات".

### التقويم

في سند هذا الحديث :

- إسحاق بن محمد وابن أبي أويس متكلم فيهما.
- ابن صالح، قال عنه أبو حاتم : ليس بالقوي.

### صفة هذا الحديث

قال الحافظ ابن العربي : هذا الحديث غير صحيح<sup>1</sup>.

وعلى فرض صحته فالموجود فوق السماء السابعة غير الموجود فوق العرش، لأن الذي بينهما لا يقل عن ألف عام كما يقول ابن تيمية في الرسالة الحموية، فالحكم من فوق السماء السابعة غير الحكم من فوق العرش، كما أن الحكم من فوق السماء الحامسة غير الحكم من فوق السماء السابعة والمقصود في الحديث فوقية السماء السابعة مباشرة، وليس على هذا حرف الجبر من "من فوق".

والذي فوق السماء السابعة مدرة المنتهى التي تتلقى عندها الملائكة الوحي والأحكام كما جاء في حديث مسلم<sup>2</sup> عن عبد الله بن مسعود: "حكم سعد مطابق لحكم الله المتلقى عند مدرة المنتهى التي هي فوق سبع سموات" والذي حكم به على

<sup>1</sup> حاشي الصفحات 420

<sup>2</sup> بينهما ألف عام

<sup>3</sup> مسلم - الأبي 1251

اليهود بالقتل والإعدام، ومعنى آخر اجتهد سعد مطابق لمصووص الشريعة وأحكامها.

(2) ومثل حديث سعد أثر عمر بن الخطاب الذي أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات عن ابن زيد قال لقي عمر بن الخطاب رضى الله عنه امرأة يقال لها حولة، وهو يسير مع الناس، فاستوففته، فوقف لها، ودنا منها وأصغى إليها رأسه، ووضع يديه على منكبيها، حتى قصت حاجتها وانصرفت، فقال له رجل، يا أمير المؤمنين، حست رجال قريش على هذه العجوز؟ قال: ويحك وتدرى من هذه؟ قال: لا قال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، هذه حولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت حتى تقصني حاجتها<sup>1</sup>

ومعنى هذا الأثر أن الله سمعها سمع إجابة، وأكرمها بأن أنزل آيات أول المجادلة بسببها؛ لأنه إذا كنا سنفسر السمع في الأثر بمجرد السمع لصوتها، لم يكن لهذه المرأة حينئذ ما يميزها عن غيرها، لأن الله يسمع جميع البشر، كما يسمع صوتها، وبالتالي ليس هناك من سبب يدفع عمر بن الخطاب إلى هذا التوفير والتنجيل، فلما أجلها بما أجل، علمنا أنه يقصد سمعاً معيياً، وهو سمع الإجابة، على سبيل المجاز المرسل، من إطلاق السبب السمع - وإرادة المسبب - الإجابة لشكوها التي اشكت فيها زوجها لرسول الله صلى الله عليه وسلم -<sup>2</sup> فيكون المقصود بالأثر أجاب الله شكواها من فوق سبع سماوات، بالوحي إلى ملائكة التبليغ، والوحي مكانه في السماء عند سدرة المنتهى، التي هي فوق السماء السابعة مباشرة.

هذا كله إذا سلمنا بصحة الأثر والإقن في سنده:

- جريد بن حازم محتلط

- أبو زيد أو ابن زيد الذي حدث عن عمر لم يدرك عمر ولم يعرفه الإمام مالك مع كونه مدنيًا أي من أهل بلده<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> لدر المنشور 198,6-199

<sup>2</sup> انظر القصة في الراجع السابق وغيره من التفسير

<sup>3</sup> هاشم الأسماء والصفات للكوثري 420

وصبغة الأثر عند البخاري في تاريخه عن عمر، مخالفة لهذه الصبغة، فقد جاء فيه: ما يمعنى أن أستمع إليها، وهي التي أستمع الله لها<sup>1</sup> وما جاء فيه موافق لمهجع السلف في التعبير، الذين كانوا يراعون لفظ القرآن والحديث فيما يقولونه، ولفظ الفرار: (قد سمع الله قول التي تحادلت في روحها) بدون تحديد لمكان السمع.

### (3) حديث أبي رزين

جاء في مسند الإمام أحمد، حدثنا بهر، حدثنا حماد بن سلمة، قال: أخبرني يعلى بن عطاء، عن وكيع بن حنس، عن عمه أبي رزين العقيلي أنه قال: يا رسول الله، أين كان ربنا عز وجل قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ قال: كان في عماء، ما فوقه هواء، وما تحته هواء، ثم خلق عرشه على الماء.<sup>2</sup> وفي رواية في عصى بالقصر.

### التقويم

الكلام في هذا الحديث من ناحيتين:

(1) من حيث ثبوته.

(2) من حيث تأويله.

#### من حيث الثبوت

في سند هذا الحديث حماد بن سلمة، وقد سبق بيان حاله وطعن العلماء فيه، وقد انفرد عن يعلى بن عطاء، ووكيع بن حنس مجهول الصفة، وقد انفرد عن أبي رزين.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> الدر المنثور 199، 6

<sup>2</sup> مسند الإمام أحمد - الفتح - 3، 20-4

<sup>3</sup> هاشم الأسماء والمصنفات 445

## من حيث تأويله

أول ابن الأثير هذا الحديث بأنه مبني على حذف مضاعف؛ تقديره أين كان عرش ربنا؟ فأجابته النبي صلى الله عليه وسلم - بأنه كان في عمي، ثم جعله فوق الماء، وفعل ((خلق)) متصمراً لمعنى جعل وأظهر العرش تحميماً وتعطيماً، والقريبة والعلامة على هذا التأويل أن التحديد الموجود في قوله ((ما فوقه هواء وما تحته هواء)) لا يمكن أن يعود على ((عمي)) في رواية القصر، لأن العمى يعنى المعدوم<sup>1</sup>، والمعدوم غير موجود، والتحديد من صفة الموجودات.

ويمكن أن يعود على "عماء" السحاب الرقيق في رواية المد، بشرط أن لا يرجع الصمير المستتر في ((كان في عماء)) إلى الله

وهذا الشرط يتوافق مع عقيدة ابن تيمية وعقيدة غيره؛ لأن السحاب محدد في الحديث من جهة الفوق والنحت "ما فوقه هواء وما تحته هواء" والموجود في المحدد محدد، وعقيدة ابن تيمية أن الله لا نهاية لذاته من أعلى<sup>2</sup>، عليه فلا يمكن أن يرجع الصمير عليه، لأن الحديث يحبر عن شيء موجود في السحاب، له نهاية علوية.

والسلف الصالح ينفي صفة الحد عن الله مطلقاً.

- قال زين العابدين: أنت الله الذي لا تحد<sup>3</sup>.

- وقال أبو حنيفة في كتابه الفقه الأكبر ولا حد له ولا صد<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> لأن معناه لا شيء ثابت، ويطبق عليه بعض المعنى لأنه مبني على الحذف فيكون غير شيء. الفصح الرباعي في مسند الإمام أحمد 4، 20.

<sup>2</sup> وهي عبودية أهل الظاهر الذين يميلون إلى قول أنظر كتاب "إبطال التويلاب" لأبي يعنى الحسيني الذي صرح فيه بأن له نهاية من أسفل فقط، وهو مذهب في التيسر والبسرة والفوق والامام والمكلف التي غير عبودية ولا نهاية.

تكملة السبب 116

<sup>3</sup> المقالات السنية 89

<sup>4</sup> فقه الأكبر 57

- وقال الإمام الشافعي: اعلموا أن الحد والنهاية لا يجوز على الله تعالى، ومعنى الحد طرف الشيء ونهايته. لأن ما كان محدوداً متناهياً صح أن ينوهم فيه الزيادة والنقصان، وأن يوجد مثله، فكان لاختصاصه نوع من النهاية، والتحديد الذي يصح أن يكون أكبر منه أو أصغر، يقتضي أن يكون له محصن يخصصه على حد ونهاية، وحلقه على قدر، وبذلك دلالة الحنوث، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً<sup>1</sup>.

- قال الإمام أحمد بن حنبل الذي أخرج الحديث "أين كان ربنا": لا تلحقه الحدود قبل خلق العرش، ولا بعد خلق العرش<sup>2</sup>.

- وجاء في العقيدة الطحاوية التي تعبر عن آراء السلف: تعالى عن الحدود والعيان<sup>3</sup>. والحاصل أن الموجودات قبل خلق السماوات والأرض: الله، والعرش، والماء، والقلم ولا يصلح أن يكون المتحدث عنه هو الله في الحديث الشريف. وأنت بالخيار، إما أن تقب عد هذا الحد بعد أن صرحت الحديث عن طاهره، وتكل المعنى المقصود به إلى الله، أو تجتهد في تحديده، استعانة بالأحاديث الأخرى، أو بالقرائن اللغوية في الحديث كما فعل ابن الأثير.

(4) حديث أبي السرداء "ربنا الذي في السماء تقدس اسمك"

### التقويم

هذا الحديث غير صحيح، لأن في سنده زيادة بن محمد مكر الحديث<sup>4</sup>، وعلى فرض صحته، فلا يتعين حملُه على المكية به سبحانه، لأن أصل الجملة كان هكذا. "ربنا الذي تقدس اسمك في السماء، عدد الملائكة الكرام"، وبهذا فلا دلالة فيه على ما يريد الظاهرية حمْلُه عليه.

<sup>1</sup> الفقه الأكبر للشافعي ص 8

<sup>2</sup> اعتقاد الاسم حمد لربنا الحديث به العصر تسمى ص 6 مخطوطات المصنفات 121

<sup>3</sup> هامش الأسماء والصفات 423

<sup>4</sup> هامش الأسماء والصفات 423

وأدنى ما يقال فيه القاعدة الأصولية. الدليل مني بصرى . نحن نعلم  
الاستدلال .

- (5) حديث عمران حين سأله النبي صلى الله عليه وسلم ((كم نعت بيوت من به))  
قال: سبعة: ستة في الأرض، وواحد في السماء .  
قال: ((وأبهم تعد لرعبك)) قال: الذي في السماء قال ((أما بك لو أسلمت  
علمتك كلمتين تنفعانك))، قال: فلما أسلم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال  
يا رسول الله، علمني الكلمتين اللتين وعدتهما، قال صلى الله عليه وسلم ((قل  
اللهم ألهمني رشدي، وقني شر نفسي)).

### التقويم

في سند هذا الحديث شبيب ضعفه النسائي وغيره .  
وعلى فرض صحته فلا يجوز به الاستدلال على إثبات المكن لله، لأن هذا السؤال  
وقع يوم كان حصير مشركاً، ولا يكون من باب الإقرار ما يشاهده النبي صلى  
الله عليه وسلم في المشرك ويسكت عنه، لأنه لو حمل على الإقرار لعد سكوته  
على قوله بوجود لآلهة في لأرض إقراراً أيضاً .  
وعرض النبي صلى الله عليه وسلم للإسلام على حصير بعد ما نكده بكف يكم به  
صريح في استنكار ما قاله<sup>1</sup> .

- (6) قول ابن المبارك الذي رواه علي بن الحسن بن شقيق، أخبرني أبو عبد الله قال  
سمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هارون يقول سمعت محمد بن سعد، يقول  
سمعت الحسن بن الصباح الثوري يقول سمعت علي بن الحسن يقول سألت عبد  
الله بن المبارك: كيف تعرف ربنا؟ قال: في السماء السابعة على عرشه فبنا  
الجهمية يقول هو هذا قال: إنما لا يقول كما قالت الجهمية يقول هو هو فلب  
بحد، قال إي والله بحد .

<sup>1</sup> المرجع السابق 423-424

- في مسنده الحسن بن الصباح قال عنه سنان بن أبي سنان: ليس بالتقوي، وإن شفيق تكلموا فيه في الإرجاء<sup>1</sup>.
- في منته عدم الاستدلال بالسؤال والجواب، والمحال تكيف، والجواب بالمعنى.
- في عقيدته مخالفة معصية المؤلف تصحيح السير يبرهون أنه عن الحد، وقد تقدم فعل أقوال الأئمة في هذا، فراجعها إن شئت.
- في طريقه تعبيرة مدنية لمصيح لسف السير كانوا يرعون لفظ القرآن والحديث فيما يشبهونه، فلفظ، في السماء السبعة ثم برز في الكتاب وألصق الصحيحة.
- ويحل مقدار الإمام أن يكون من تبيين في عيسى ومهجه عن السلف الصالح مما يدل على أن الحسن لواقع فيه جاء عن طريق أحد الرواة.
- وعلى كل فعوله لا يعتبر من الأئمة الشرعية التي سبب فيها في الشريعة.
- وهناك أحاديث أخرى أسس بها أن سمية ومن تقدم يكذب فيها العلماء بالقدم والطعن فراجعها إن أحببت في مظانها<sup>2</sup>.



<sup>1</sup> المرجع السابق 426-427

<sup>2</sup> كهامش الأسماء والصفات للكويتي، ونكته تكيف صغرى وفي كذبه التذلل

## أصناف العلماء

يمكن تصنيف العلماء الذين ينقل عنهم ابن تيمية وابن القيم في كتبهما أن الله في السماء إلى :

- 1 كذابين.
- ومن أمثلتهم:-
- أ. أبو مطيع البلخي<sup>1</sup> الذي نقل عن أبي حنيفة أن الله في السماء، قال عنه ابن حجر في لسان الميزان<sup>2</sup>: قال أبو حاتم الزراري كان مرجئا كما
- وقال عنه الإمام أحمد: لا يسعى أن يروى عنه شيء، وعن ابن معين إنه ليس بشيء<sup>3</sup>.
- ب. ابن بطة.
- قال عنه الحافظ ابن حجر وقعت لاس بطة على أمر استعصمته، واقشعر جنى منه<sup>4</sup>.
- ج. الكلبي، قال عنه يحيى بن معين، ليس بشيء<sup>5</sup>، وروايته عن أبي صالح سلسلة الكذب<sup>6</sup>.
- د. أبو العز بن كدش أحمد بن عداشه من اصحاب العشاري كان كذابا بصع الحديث باعتزافه كما جاء في الميزان.

<sup>1</sup> مجموع الفتاوى 183,5

<sup>2</sup> 335,2

<sup>3</sup> الميزان 574,1

<sup>4</sup> لسان الميزان 113,4، تاريخ بغداد 375,10

<sup>5</sup> تكملة السيف 206

<sup>6</sup> التحرير والتنوير لابن عاشور

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يكون في آخر الزمان رجالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آبؤكم، فاياكم وإياهم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم))<sup>1</sup>

## 2 فائزون بالتجسيم للذات الإلهية

ومن أمثلتهم أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي الشافعي صاحب الفصول، وأبو الحير يحيى العمراني، قال المحدث الكوثري، قد كفانا مؤنة الرد عليهما ما قاله فيهما ابن السككي والياضي الشافعيان<sup>2</sup>.

3. فائزون بالتثنية كمحمد بن أبي شبة صاحب كتاب العرش، الذي اجتمع فيه وصف التثنية والكذب<sup>3</sup>، ومقاتل بن سليمان الذي قال عنه الإمام أبو حنيفة كما جاء في تهذيب التهذيب: أتابا من المشرق رأيا حيثا: جهم معطل، ومقاتل مثبه.

وقال: أفرط جهم في الدعي حتى قال: إن الله ليس بشيء، وأفرط مقاتل في الإثبات، حتى جعل الله تعالى مثل خلقه<sup>4</sup>.

وقد روى البعوى الشافعي عنه وعن الكلبي، مصرحا بهما، اعتمادا على قول أهل النقد فيهما، ودلالة على أن هذا القول العلوي الحسبي قول أهل الربع غير متخصصين<sup>5</sup>

ومن أمثلتهم

أ. ابن حريمة، الذي يقول عن نفسه: ما تذكرون علي فقيه راوي حديث، أنه لا يحسن الكلام<sup>6</sup> أي علم العقيدة الذي من أسمائه علم الكلام.

قال الإمام البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قتل، سمعت أبا الحسن علي بن أحمد الرازي البوشنجي يقول: دخلت علي عبد الرحمن بن أبي حساتم الرازي

<sup>1</sup> مسلم - الأبي - 21، 1

<sup>2</sup> التكملة نفس المكان

<sup>3</sup> نفس المكان

<sup>4</sup> فرقان القرآن للرامزي 21

<sup>5</sup> الأسماء والصفات للبيهقي 267

بالري، فحبرته بما جرى ببغداد بين أبي بكر بن حريمة وسير أصحابه، فقال ما لأبي بكر والكلام، إنما لأولي بنا وبه أن لا نتكلم فيما لم نتعلمه.

فخرجت من عنده حتى نزلت على أبي العباس القلاسي، فقال: كان بعض القدرية من الفرق المنحرفة وقع إلى محمد بن إسحاق، فوقع لكلامه عنده قول [ي تشر بهد، وبغل قولهم لا تمحبص] ثم خرجت إلى بغداد، فلم أدرع فيها فيها ولا منكما إلا عرّضت عليه تلك المسئلة، فما منهم من أحد إلا وهو يبايع أنا العباس القلاسي على موافقه، ويعتّم لأبي بكر بن إسحاق فيما أظهره<sup>1</sup> وحاصل هذه النقولات:

♦ أن ابن حريمة ليس من أهل النكر في علم الكلام، فلا يسعى ولا يجوز الاعتماد عليه فيه «فاسألوا أهل الذكر»

♦ أنه مخالف لأئمة الفقه والعلماء في ربه، وبهم مستأون منه لشهوده، وخروجه عن الطريق المنصف، وكنهه فيما لا يعلم، وإن تسمية يصف هذا الشيخ غير المتخصص وغير المعتبر لعلم الكلام بأنه امام الأئمة، مع أن الله يقول «الرحمن فاسأل به خيرا» ومع أن السلف اتصالح بلهجون بالآثر الصريح ((اسألوا من تأخذون دينكم))

ب ومن أمثلة هذا الصنف بن أبي حنيفة الذي أقر على نفسه بأنه يجهل علم الكلام<sup>2</sup> واللائق والظنمكي إسماعيل النعماني اللذين تكلم في غير تخصصهم<sup>3</sup>

5 علماء يتكلمون المجاز كان حوير مصاد من المائكة، وكأني عبد الله بن حماد؛ ومن الرغواني وصاحبه القصي . وقد سبق في التمهيد بيان بطلان هذا المذهب، ومن كلام ابن حزم عن ابن حوير مصاد يفهم أنه إنما نكر المحار،

<sup>1</sup> المرجع السابق 267 269

<sup>2</sup> مجموع الفتاوى 138 5

<sup>3</sup> الأسماء للبيهقي 199

<sup>4</sup> تنكية الميف 129

مذكورة أصول فقه للشعوطي 58-المجاز للمنطقي 1122.2

ليثبت أن الحجارة لها عقل به تحشى الله، كما يحشاه العقلاء، وهذا ما يعيده طاهر النص الكريم «وإن منها لما يهبط من خشية الله» وقد حمل عليه ابن حزم في كتابه "الأحكام في أصول الأحكام 543,4" وعلى أمثاله حملة عبيدة، وسحر منه ومن عقله الذي رعم أن للحجارة عقلاً ومستند ابن حوير منداد في إنكار المجاز كما ترى لا ورر له، وما بهاء من الأحكام في تحليل الآيات المتشابهة على هذا الأساس يأخذ حكمه.

أما ابن حامد ومن معه من الحبابلة فقد قال عنهم الحافظ ابن الجوزي. رأيت من تكلم من أصحابنا في الأصول بما لا يصلح، والتدب للتصنيف منهم ثلاثة، ابن حامد وصاحبه القاصي، وابن الرغواني، صنعوا كتباً شأنوا بها المذهب، وقد رأيتهم يزلوا إلى مرتبة فحملوا الصفات على مقتضى الحس وقد أخذوا بالطواهر في الأسماء والصفات، فسموا الصفات تسمية مبتدعة، لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل، ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الطواهر إلى المعاني الواجبة لله سبحانه وتعالى، ولا إلى إلعاء ما توجبه الطواهر من سمات الحدث، ولم يقتنعوا أن يقولوا صفة فعل حتى قالوا صفة ذات، ثم لما أثبتوا أنها صفات قالوا لا نحملها على ما توجبه اللمعة مثل اليد على البعثة أو القدرة، ولا المجئ على معنى البر واللفظ، ولا الساق على الشدة، وبحر ذلك، بل قالوا نحملها على طواهرها المتعارفة، والطاهر هو المعهود من دعوت الأدميين وهم يخرجون من التشبيه، ويأنفون من إصافته إليهم، ويقولون نحن أهل السنة، وكلامهم صريح في التشبيه، وقد تبعهم خلق من العوام على ذلك، لجهلهم ونقص عقولهم، وكفروا تقليداً، وقد نصحت للتابع والمتبوع،

هل يلزمكم أنه -أي الإمام أحمد- قال: إن الاستواء من صفة الذات المقدس أو صفة الفعل؟

فمن أين تقدمتم على هذه الأشياء؟

وهذا كله ابتداع قبيح. فلا تدخلوا في مذهب هذا الرجل الصالح السلفي -  
أعني الإمام أحمد- ما ليس منه، فلقد كسوتهم هذا المذهب شيئاً قبيحاً، حتى لا  
يغال عن حنبلي (إلا مجسم)، ثم ربيتهم مذهبكم بالعصية ليريد، وقد علمتم أن  
صاحب المذهب أجاز لعنته، وقد كان أبو محمد النعماني يقول في بعض  
ألمعتكم: لقد شأن المذهب شيئاً قبيحاً لا يعمل إلى يوم القيامة<sup>1</sup>.

6

علماء لا يعتد بروايتهم، كحماد بن سلمة، وكعند الله بن نافع بن الصائغ، فلقد  
كان حماد مختلطاً يدخل في حديثه ريباً ما شاء<sup>1</sup>.

قال المحدث الكوثري: يكفي في معرفة حال حماد بن سلمة الإطلاع على كتب  
الموصوعات أي التي نتحدث عن الأحاديث الموصوعة المكتوبة، في باب  
التوحيد منها خاصة، فيرى فيها القارئ أخباراً تالفة رويت بطريقه بكثرة، بل  
ما سرد ابن عدي نفسه في الكامل في ترجمة حماد هذا، من الأحاديث التالفة  
المروية بطريقه، كاب في معرفة سقوط ما يرد من طريقه وروايته، بل سقوط  
ابن عدي المتحمس دونه<sup>2</sup>.

وقال عنه إبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي: كان حماد بن سلمة لا يعرف  
بهذه الأحاديث، حتى خرج حرجة إلى عبادان، فجاء وهو يرويها، فلا أحسب  
إلا شيطاناً خرج إليه في البحر، فألقاها إليه<sup>3</sup>.

وعند الله بن نافع الذي يروي عن مالك أنه قال "الله في السماء" فقال عنه  
الإمام أحمد: عند الله بن نافع الصائغ لم يكن صاحب حديث، وكان ضعيفاً فيه،  
وقال عنه ابن عدي: يروي غرائب عن مالك. وقال ابن فرج: كان أصماً  
أمياً لا يكتب<sup>4</sup>.

دفع شبه من تشبه وتمرد 6 7

<sup>2</sup> تكملة السيف 111

المراجع السابق 110 قال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- إن الشيطان يبذل في صورته رجس

يربأى للقوم فوجدتهم بالحديث من الكتب -مسلم- (الأبي) - 21.1

<sup>4</sup> المرجع السابق 129

ومن أمثلتهم:

أ الشيخ عبد القادر الجيلاني، الذي نقل ابن نيمية من كتبه "الفنية" قوله: ويبيع إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش<sup>1</sup> وقد ذكر اليعاقبي في بشر المحاسن، وابن حجر المكي في فناويه، والسنج الأصفهاني، أن ذكر الجهة أي كونه تعالى في الأعلى على العرش وبحوه مدسوس في كتب الشيخ عبد القادر، وأنهم لا يعتنون بروايات أمثال الذهبي وابن القيم وشيحه وابن رجب عنه في هذا الصدد، لأنهم متهمون عددهم فيما يتعلق بالجهة<sup>2</sup>، ويؤكد هذا الدس ما جاء في عقيدة الأكاكر للشيخ نفسه إثر الأبن وتزده عن الأينية.

- قال الحافظ صلاح الدين العلائي عن الذهبي لا أشك في ديبه وورعه وتحريه فيما يقوله عن الناس، ولكنه غلب عليه مذهب الإثبات، ومفارقة التأويل، والعقلة عن السريه، حتى أثر ذلك في طبعه انحراف شديدا عن أهل التقريه، وميلا قويا إلى أهل الإثبات، فإذا ترجم لواحد منهم، يظن في وصفه بجميع ما قيل فيه من المحاسن، ويبالغ في وصفه، ويتعاضل عن غلطائه، ويتأول له ما أمكن، وإذا ذكر أحدا من الصوف الأحرار كإمام الحرمين، والعرالي، وبحوهما، لا يبالغ في وصفه، ويكثر من قول من طعن فيه، ويعيد ذلك ويبدئه، ويعتقده ديبا، وهو لا يشعر، ويعرض عن محاسنهم الطائفة فلا يستوعبها، وإذا طعن لأحد منهم بعنقه ذكرها، وكذلك يفعل في أهل عصرنا، إذا لم يقر ذلك على أحد منهم بتصريح يقول في ترجمته والله يصلح.. ونحو ذلك، وسببه المخالفة في العقائد<sup>3</sup>.

- قال الناج ابن السكي: الحال في شيخ الذهبي أريد مما وصف، وهو شيخنا ومعلمنا، غير أن الحق أحق أن ينع، وقد وصل من التعصب المفرط إلى حد

<sup>1</sup> مجموع الفتاوي 85، 5-86<sup>2</sup> التكملة 113-114<sup>3</sup> نقل عنه للمحدث الكوثري في التكملة 202-203

يسحر منه والذي أدرکنا علیه المشانح البهي عن النظر في كلامه، وعدم اعتبار قوله، ولم يكن يستجري أن يظهر كتبه التاريخية إلا لمن يطلب على طه أنه لا يقل عنه ما يعاب عليه، وأما قول العلاني عن ديبه وورعه ونحريه فيما يعوله، فقد كنت أعتقد ذلك، وأقول عند هذه الأشياء ربما اعتقدها ديباً، ومنها أمور أقطع بأنه يعرف بأنها كذب، وأقطع بأنه لا يحفلها، وأقطع بأنه يحب وصعها في كتبه لتتشر، وأقطع بأنه يحب أن يعتقد سامعها صحتها بعضاً للمتحدث فيه، وتغير الناس عنه، مع قلة معرفته بمدلولات الألفاظ ومع اعتقاده أن ذلك مما يوجب نصراً للعقيدة<sup>١</sup>

وقال التاج أيضاً في طباقه، وهو يترجم لإمام الحرمين ما نصه: "وقد كان الذهبي لا ينزى شرح البرهان، ولا هذه الصناعة، ولكنه يسمع حرافات من طلبة الحائلة فيعتقدونها حقاً، ويودعها تصانيفه".

ب. الإمام الشافعي، فاعتقاده المذكور في ثبت الكوراني كذب موصوع، مروي بطريق ابن كادش والعشاري وأولهما كان كذاباً، يصع الحديث كما جاء في الميزان، وثانيهما كان مغفلاً يتقن ما يلقن<sup>٢</sup>.

ومما يعني عن الإمام القول بالإنثبات الطاهري للاستواء على العرش قوله في كتابه "الفقه الأكبر" واعلموا أن الباري لا مكان له، والسبيل عليه هو أن الله تعالى كان ولا مكان، فخلق المكان، وهو على صفة الأربعة، كما كان قبل خلقه المكان.

وصرح العلم العراقي أن الإمام الشافعي ومالك وأبو حنيفة والأشعري والباقلاني كانوا يقولون إن معتقد الجهة كافر<sup>٣</sup>

ح. الإمام البيهقي الذي نقل عنه ابن نيمية أنه يقول في باب الاستواء أن الله على عرشه، وأنه يبطل قول من يقول إن الله بذاته في كل مكان<sup>٤</sup>

التكملة 203

<sup>٢</sup> المرجع السابق 206

<sup>٣</sup> التكملة 116

<sup>٤</sup> مجموع الفتاوى 192، 193

والإمام الشيعي بعيد عما يريد ابن تيمية سنده إليه، فهو يرى إحصاء الحق في قوله تعالى: «ثم استوى على العرش» في طريقتين:

- طريقة التفسير التي نكل المعنى المراد بالجملة إلى الله

- طريقة التأويل.

وأصحاب التأويل في رأي الشيعي لا يقصنون بالعلو فيه علو الذات، وإنما علو المكانة.

فالشيعي كما قال الدكتور أحمد بن عطية العامدي من أتباع «ابن تيمية»:-  
لا يرى الإثبات الحقيقي<sup>1</sup>، ويبره الله تعالى عن الجهة والمكان<sup>2</sup>.

8. علماء لا تدل عباراتهم صراحة على الإثبات الحقيقي أي الجلوس والاستقرار - كقول مجاهد والطبري: «استوى» علا على «العرش» وك تفسير أبي العالية الرياحي الاستواء بالارتفاع، وكقول أحمد وإسحاق...: «هو به أن الله فوق سماواته».

وقد تقدم بيان مذهب السلف في العلو، وأنها يفصلون بالعلو علو القدرة لا علو الذات، وقد صرح الإمام ابن جرير الطبري بقصده في لفظ علا حين قال في تفسير قوله تعالى: «وهو العلي العظيم» العلي الفعلي، من قولك علا يعلو إذا ارتفع، فهو عال وعلو، والعلو ذو العلو والارتفاع على حلقه بقدرته<sup>3</sup>.  
وتفسيره العلو بالعلو المعنوي هو الذي يليق بجلال الله كما سبق بيانه.

9. علماء أخذوا النظرية مسلمة ممن سبقهم بدون تحقيق كابن عبد البر الذي قال: إن أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على التحفة لا على المجاز<sup>4</sup>.  
وقد تقدم في هذا البحث ما يعنى هذا القول، وسطل هذا الإجماع:

الشيعي وموقفه من الإثبات 275

<sup>2</sup> المرجع السابق 282

<sup>3</sup> تفسير ابن جرير الطبري 192، 1

<sup>4</sup> مجموع الفتاوى 87، 5

- فقد أول ابن عباس العناق بالشدّة.
- وأول الحسن البصري القدم بالدين قدمهم الله من شرار خلقه
- ونقل الإمام الزبيح عن الصحابة تأويلاتهم لقوله تعالى: «أرحم من علي العرش استوى»<sup>1</sup>
- وأول ابن جرير العلو بعلو القدرة<sup>2</sup>.
- وأول قوله تعالى: «وأسماء سيماها بأبده» بالقوة، ونقل تأويل الأيدي بالقوة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ومنصور وابن سفيان<sup>3</sup>.
- والأيدي في اللغة جمع يد، وهي الكف، جاء في العموس، اليد الكف، أو من طرف الأصابع إلى الكتف، أصلها يدي، جمعها أيد ويدي.
- وأول الإمام البخاري الضحك بالرحمة<sup>4</sup>
- وروى البيهقي عن الحاكم عن أبي عمرو بن السماك عن حبل أن أحمد بن حبل تأول قوله تعالى: «وحاء ربك» أنه جاء ثوابه.
- ثم قال البيهقي: وهذا إسناد لا يحار عليه<sup>5</sup>.
- وأول ابن جرير قوله تعالى: «تجري بأعيننا» بأن المقصود منه مرأى منا ومطر، ونقل أن سفيان أول «بأعيننا» بأمرنا<sup>6</sup>.
- وأول كذلك ابن جرير قوله تعالى: «وقالت اليهود يد الله مغللة أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان» بأن المعنى المقصود من قوله «يد الله مغلولة» أن خير الله ممسك وعطاء محبوس، ومن قوله «بل يداه مبسوطتان» العطاء.

<sup>1</sup> تقدمت في هذا البحث التأويلات السابقة

<sup>2</sup> تفسير ابن جرير

<sup>3</sup> دقائق الاشتراك 341

<sup>4</sup> البدنية والنهاية 327، 10

<sup>5</sup> تفسير ابن جرير

ثم قال لأن عطاء الناس في وصف بعضهم بعضا إله وصغوه بحود وكرم، أو  
يحل وشح وصيق، بإضافة ما كان في صفه الموصوف إلى يمينه، كما  
قال الأعشى:

يداك يدا محد فكك مقيدة وكف إذا ما طرد الراد تنفق

فأضاف ما كان صفه صاحب اليد من اتفاق وإفادة إلى اليد  
ومثل ذلك في كلام العرب في أفعالها وأمثالها أكثر من أن يحصى، فخطيبهم  
الله بم يعنى بذلك أنهم قالوا، إن الله يحل عطيا، ويمعنا فصله، فلا يفصل،  
كالمعلولة يده، الذي لا يقر أن يسقطها بعطاء ولا ينزل  
ثم قال وبمثل الذي قلنا قال أهل التأويل كان عيسى وقنادة والصحاب<sup>1</sup>

- وأول سفيان الثوري الوجه في قوله تعالى «كل شئ هالك إلا وجهه» بالملك،  
وكذلك فعل الإمام البخاري<sup>2</sup>.
- وأول الإمام الحافظ أبو سليمان الخطابي اليمين في قوله - صلى الله عليه  
وسلم - ((من تصق بعقل ثمرة من كسب طيب، ولا يصعد إلى الله إلا  
الطيب، فإن الله يتعساها بيمينه)) فقال معناه حسن القول، فإن العادة جرت من  
دوى لأدب، بأن تصد اليمين عن الأشياء الرذيلة، وإنما يشير بها الأشياء  
التي لها قدر ومزية<sup>3</sup>.
- وأول حماد بن زيد قوله صلى الله عليه وسلم ((من ركب إلى السماء  
الذنية)) بأنه كناية عن الإقبال<sup>4</sup>.
- وأول ابن عباس قوله تعالى «سمرع لكم أيها الثقلان» بأنه وعيد من الله للعناد،  
وليس بالله شعل<sup>5</sup>.

المرجع السابق

<sup>2</sup> المقالات المسببة 80

<sup>3</sup> نكاح الإكمال 301، 1

<sup>4</sup> نفاذ الإشارة 333

<sup>5</sup> المرجع السابق 356

- وأول فتادة: ((وإن دعوت معي شرا دعوت منك ذراعاً))<sup>1</sup> بالاسراع بالمغفرة.
- وقال الحافظ ابن العربي: قوله عليه السلام. ((تقع في كف الرحمان)) كلام صحيح يشهد له القرآن والسنة، فإن الله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ فعبّر عن نفعه الكريمة بالمستقرص، فممن دفع للمستقرص شيئاً، فقد وقع ما دفع في كف المستقرص، كما أنه قال: مرصت فلم تعدني، فيكون المرص صفة؛ فكما أنه لا يكون المرص صفة لا يكون الكف كذلك.<sup>2</sup>
- وصرح الإمام مالك والأوراعي في قوله صلى الله عليه وسلم: ((يترل ربنا إلى السماء الذيب)) بأن الله لا يجوز عليه الإنفعال<sup>3</sup>
- وأول النظر بن شميل القدم في قوله صلى الله عليه وسلم: ((حتى يصنع رب العرة فيها قدمه)) بأنهم الكفار الذين سق في علم الله أنهم من أهل النار<sup>4</sup>.
- وأول الإمام البيهقي قوله تعالى: ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾ بأنهم يفسدون ما يظهرون من الإيمان، بما يصمرون من الكفر، «وهو خادعهم» أي يفسد عليهم نعمهم في الدنيا، بما يصيرهم إليه من عذاب الآخرة<sup>5</sup>
- وروى البيهقي عن الشافعي في قوله تعالى: «وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه» أن ليس المقصود بآهون طاهره، وإنما جاء على طريقة البشر في التعبير، فليس شيء يعظم الله عز وجل<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> حديث يتكلم على التوبة

<sup>2</sup> رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد 81,10

<sup>3</sup> فتراهم السابعة 274

<sup>4</sup> دفع شبه من تشبه وتمرد ص5

<sup>5</sup> تعلق الإشارات 287 دفع شبه من تشبه 12

<sup>6</sup> التعلق 354

<sup>7</sup> المرجع السابق 369

- وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري عن حديث الصوت: لفظ الصوت مما يتوقف في بطلان نسبتة إلى الرب سبحانه، ويحتاج إلى تأويل<sup>1</sup>.
- وقال الإمام الحافظ ابن دقيق العيد: إن كان التأويل من العجار البيس الشمانع فالحق سلوكه من غير توقف<sup>2</sup>.
- وقال شريح- رضي الله عنه - في قوله تعالى ﴿لِلَّهِ عَجَبٌ وَسِحْرُونَ﴾ على قراءة الرفع في الصمير 'عجبت': إن الله لا يعجب من شيء، إنما يعجب من لا يعلم<sup>3</sup>. قال ابن الأثير، معنى عجب ربك رادهم بعجابه، فعبر بالعجب عن ذلك. قال الأئمة: لأن العجب إما يكون من شيء يدهم الإنسان فيستعظمه مما لا يعلمه، وبلك إما يكون في المخلوق، وأما الخالق فلا يليق به ذلك، فمعناه عظم قدر ذلك شيء عنده، لأن المتعجب من الشيء يعظم قدره عنده<sup>4</sup>.
- وأول الإمام المارري اليد في قوله صلى الله عليه وسلم : ((يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى)) بالفترة<sup>5</sup>.
- وأول الإمام الشاطبي الوجه في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ بالذات
- وأول الجنب في قوله ﴿أَنْ تَقُولَ نَحْنُ بِأَحْسَرَتَا عَلَى مَا فَرَضْتَ فِي حَسْبِ اللَّهِ﴾ فعال: وهذا لا معنى لتجنب فيه لا حقيقة ولا محاراة، لأن العرب تقول: هذا الأمر يصغر في جنب هذا، أي يصغر بالإضافة إلى الأخر، فكذلك الآية معناه ﴿بِأَحْسَرَتَا عَلَى مَا فَرَضْتَ فِي حَسْبِ اللَّهِ﴾ أي فيما يبيى وبين الله، إذ أصغت تعربطي إلى أمره وبهية إياي، ثم قال: فقد ظهر بهذه الأمثلة، كيف يقع الخطأ في العربية في كلام الله سبحانه وتعالى، وسنة نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- وأن ذلك يؤدي إلى تحريف الكلم عن مواضعه، والصحابة

<sup>1</sup> فتح الباري 1، 174

<sup>2</sup> التكملة 151

<sup>3</sup> دقائق الإشارات 345

<sup>4</sup> دفع شبه من نمرود 13

<sup>5</sup> البراهين المنظمة 272

- رضى الله عنهم براء من ذلك، لأنهم عرب، لم يحتاجوا في فهم كلام الله تعالى إلى أدوات ولا تعلم<sup>١</sup> .

- ونقل النووي في شرحه على صحيح مسلم عن القاضي عياض أنه لا خلاف بين المسلمين في طيبة<sup>٢</sup> فيهم، ومحدثهم، ومتكلمهم، وبطائرهم، ومقلد<sup>٣</sup>هم أن الطواهر نوارسه سكر الله في السماء، كقوله تعالى: ﴿أَأَمِنتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ﴾<sup>٤</sup> وبحوه، ليس على طاهره، بل متأولة عند جميعهم<sup>٥</sup>، أي جمبع من بعد بهم



## موقف الأئمة المالكية

نسب ابن تيمية إلى أئمة المالكية القول بالاستواء الحقيقي. أي الجالس والاستقرار.

حاء في فتاويه. وكلام أئمة المالكية وقضائهم في الإثبات كثير مشهور، حتى علماءهم حكوا إجماع أهل السنة والجماعة على أن الله يدانته فوق عرشه، وأن أنبي ريد بما ذكر ما ذكره سائر أئمة المذاهب، ولم يكن من أئمة المالكية من حالف ابن أبي زيد في هذا<sup>1</sup>.

### التقويم

كلام ابن تيمية ينقسم إلى قسمين :

1 حكاية لإجماع على الحمل الحقيقي في آية «ثم استوى على العرش». وقد تقدم القول بعدم صحة هذا لإجماع، وبكفي في رده ما قاله الإمام الحافظ العصي عبدص من أئمة المالكية من أن أكثر المحنثين والفقهاء والمكلمين على إحالة الجهة أي القول بأن الله في جهة العلو على العرش من الأمور المستحيلة وأن من صادر إلى القول بالجهة هم دهماء الفقهاء والمتحدين، وبعض متكلمي الأشاعرة، وكافة الكراميه . من الفرق المنحرفة

2 نسبة القول بالجهة إلى أئمة المالكية

<sup>1</sup> مجموع الفتاوى 1825

<sup>2</sup> إكمال الإكمال على صحيح مسلم 241.2

وما نسبته إليهم غير صحيح، يقول الإمام الأبي من أنمة المالكية- في شرحه على صحيح مسلم: ما نسب من القول بالجهة لا يصح، ولم يقع إلا لأبي عمر في الإستكثار والتعميد، ولا بن أبي زيد في الرسالة، وهو عنهما متأول<sup>1</sup> وأنكر حفاظ المذهب المالكي وأئمة - كابن عبد السلام، وابن هارون، والسبكي، وابن الصباغ، وغيرهم ما أنكره الأبي<sup>2</sup>

يقول الإمام شهاب الدين أحمد بن يحيى بن جبريل الكلاني المتوفي سنة 733. ما حكاه ابن تيمية عن أبي عمر بن عبد البر، علم الحاص والعلم مذهب الرجل، ومخالفة الناس له، وبكير المالكية عليه أولاً واحراً مشهور، ومخالفته لإمام المغرب أبي الوليد الباجي معروفة، حتى إن فصلاء المغرب يقولون: لم يكن أحد بالمغرب يرى هذه المقالة غيره وغير ابن أبي زيد، غير أن العلماء منهم قد اعتذر عن ابن أبي زيد بما هو موجود في كلام الفاصي الأجل أبي محمد عبد الوهاب البغدادي المالكي<sup>3</sup>.

- وقال الإمام الحافظ ابن العربي- من أنمة المالكية- قد تعدى إليه "أي حدوث الفروع" قوم ليسوا من أهل العلم بالتفسير، فتعدوا عليه بالقول بالكثير. وقالوا في هذا الحديث دليل على أن الله في السماء على العرش من فوق سبع سموات.

قلنا: هذا جهل عظيم، وإنما قال يبرل إلى السماء\* ولم يقل في هذا الحديث من أين ينزل، ولا كيف ينزل.

قالوا: وحجتهم ظاهر قول الله تعالى: «الرحمن على العرش استوى»

قلنا: وما العرش في العربية؟ وما الاستواء؟

قالوا: كما قال الله تعالى: «استووا على ظهوره»

قلنا: إن الله تعالى أن يمثل استوائه على عرشه باستوائنا على ظهور الركائب.

<sup>1</sup> المرجع السابق والجزء والسمعة

<sup>2</sup> المرجع السابق نفس المكان

<sup>3</sup> التمهيد الرابع 192

قال. والذي يجب أن يعتقد في ذلك أن الله كان ولا شيء معه، ثم خلق  
المخلوقات من العرش إلى العرش، فلم يتعين بها، ولا حدث له جهة منها، ولا  
كان له مكان فيها، فإنه لا يحول ولا يرول، فدوس لا يتعير ولا يستحيل<sup>1</sup>.

وقال ابن رشد في كتابه فصل المقال ص 13، إن هاهنا ظاهر يجب على  
أهل النظر تأويله، وحملهم ياء على طاهره كفر في حقهم، وتأويل غير أهل  
النظران له، وإحراجه عن طاهره كفر في حقهم، ومن هذا الصنف آية  
الاستواء وحديث النزول.

وقال الإمام القرطبي في تفسيره: ووصفه بالعلو والعظمة، لا بالأماكن  
والجهات والحدود، لأنها صفات الأجسام، وإنما ترفع الأيدي بالدعاء إلى  
السماء، لأن السماء مهبط الوحي، ومبرل الفطر، ومحل القدس كما جعل الله  
الكعبة قبلة للدعاء والصلاة، ولأنه خلق الأمكنة وهو غير محتاج إليها، وكان  
في أزل قبل خلق المكان والزمان ولا مكان له ولا زمان، وهو الآن على ما  
عليه كان<sup>2</sup>.

وجاء في كتاب المنهاج القويم لابن حجر الهيتمي ص 244. واعلم أن القرافي  
وغيره حكوا عن الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة رضي الله عنهم القول  
بكفر القائلين بالجهة والتجسيم<sup>3</sup>.

قال ابن تاجي من علماء المالكية: ثبت علم السلف الصالح باستحالة الجهة،  
والقول بالفوقية الحسية<sup>4</sup>.  
وبمثل قوله قال الشيخ زروق<sup>5</sup>.

المعارضة 232.2

<sup>2</sup> تفسير القرطبي 216، 18

<sup>3</sup> الوهابية في المراء ص 9

<sup>4</sup> ابن تاجي على الرسالة 28، 1

<sup>5</sup> زروق على الرسالة 28 1 29

- يقول الشيخ الر بر من حفظ المذهب المالكي -: وأجاب أمننا سلفهم بن الله تعالى مره عن صفات الحوائث، مع تقويض معني هذه النصوص إليه تعالى، إيثار للطريق لأسلم \* وما يعلم تأويله إلا الله \*
- وحلفهم بتعيين محامل صحيحة إبطالا لمذهب الصائين، وإرشادا للقاصرين، فحملوا اليد على القدرة، والوجه على الذات، والاستواء على الاستيلاء، وهكذا،
- قال: والحاصل أنه لا بد من تأويل، أي حمل اللفظ على غير ظاهره<sup>1</sup>.
- وقال الجرجولي من أئمة المالكية في حربه لتوحيد: لا يختص بالمكان، سبحانه عظيم. الاحتصاص بالمكان من صفات المخلوقات<sup>2</sup>.
- ورد الإمام مالك على الغنليين بالجهة مبسوط في المواضع عن القواصم لأبر العربي<sup>3</sup>.
- وصرح العلم العراقي أن الإمام مالكا يقول بن معتقد الجهة كاهر<sup>4</sup> إلى غير هذا من النقولات الكثيرة التي تنفي ما يريد أن يسميه ابن تيمية إلى المذهب المالكي.

### ملاحظات:

1. في كلام أئمة المالكية المستقدين للقول بالجهة التعامل عن الظلمى، لأنه تكلم في غير تخصصه كما سبق بيانه - فقله وعنه سواء
2. قول ابن أبي ريد الفيرواني "وأنه فوق عرشه المجيد بذاته" لا يعين حمله على الفوقية الحسية إلا بعد التصريح منه بأن المقصود بالفوقية الفوقية الحسية. لما سبق من القول أن السلف يفسرون العلو والفوقية بعلو المعنى، الذي يعبر عن كمال القدرة والملك لكل الأشياء، كما صرح بذلك ابن جرير الطبري وغيره،

<sup>1</sup> شرح الخريدة مع حاشية الصاوى 68-69

<sup>2</sup> حرب التوحيد مع الوظائف الثلاث 36 مكتبة فنجاح

<sup>3</sup> مقالات الكثرى 291

<sup>4</sup> تكملة سيف 116

فيصير معنى الجملة عدد ابن أبي ريد أن استيلاء الله على العرش وتملكه له  
كل بداته ونفسه، ولم يكن عن طريق منك عظيم أو روح كبير .  
هذا كله إذا سلمنا صحة ثبوت العبارة عن الإمام، وإلا فإن انعكاسي يقول:  
سمعت شبيحا أبا علي النجاشي يقول: إن هذه العبارة نسبت على المؤلف  
رضي الله عنه<sup>1</sup>.

3. قال الشيخ حسن علي أسفاه في كتابه "إقام الحجر على المتطاول على  
الأشاعرة من البشر"، الحشوية المجسدة أناس ابن تيمية متى حالف كلام الأئمة  
الكبار كلامهم واعتقادهم، وأرادوا أن يحتجوا بقول ذلك الإمام ليقنعوا من  
حولهم حرفوا وتلاعبوا بكلام ذلك الإمام وقد فعلوا في هذه الفترة  
الأخيرة أشياء وتحريفات منها أنهم قاموا بطباعة كتاب "الأدكار" للإمام  
النووي، بإشراف إدارة هيئة البحوث والدعوة والإرشاد، بتحقيق عبدالقادر  
أربؤوط، ونشر دار الهدى الرياص، وحرفوا قول الإمام النووي "فصل في  
زيارة قبر رسول الله" فجعلوه "فصل في زيارة مسجد رسول الله" وحذفوا بعده  
كلاما يقع في ثلاثة أسطر، يحالف مشربهم وحذفوا أيضا من آخر ذلك  
الفصل قصة العتبي التي ذكرها الإمام النووي، واستحيا أئمة الشافعية، كما  
قال الإمام النووي في المجموع "274.8" وقد رجعت إلى عدة نسخ مطبوعة،  
وإلى المخطوط، وإلى شرح العلامة ابن عثري على الأدكار، لأتحقق من منك  
التلاعب، الذي لم يشر إليه المحقق والمصنفون، لا في المقدمة ولا في موضع  
الحذف وليست هذه الأفعال إلا تحريف وتلاعب بكلام الأئمة، وررع بدور  
الشك بما في أيدي الناس من كتب علماء الإسلام والأئمة وكتب التراث.

قل:

ومن تحريفاتهم أن حذفوا قطعة تامة من كلام الإمام أبي الحسن الأشعري،  
حين طبعوا كتابه "الآبانة" يعنى فيها أن الله استوى على العرش بذاته،  
وهذه القطعة هي:

<sup>1</sup> ابن تاجي على الرسالة 28، 1

"وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي قَالَهُ، وَبِالْمَعْنَى الَّذِي أَرَادَهُ، اسْتَوَاءً مِثْلِهَا عَنِ الْمَعْلَمَةِ وَالْإِسْتِقْرَارِ وَالْتِمَكُّنِ وَالْحُلُولِ وَالْإِنْتِقَالَ. لَا يَحْمِلُهُ الْعَرْشُ، بَلِ الْعَرْشُ وَحَمَلَتْهُ مَحْفُوعُونَ بَلُطَفِ قُدْرَتِهِ، وَمَقْهُوْرُونَ فِي قِبْضَتِهِ، وَهُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى تَحُومِ الثَّرَى، مُوقِفَةٌ لَا تَرِيدُ قُرْبًا إِلَى الْعَرْشِ وَالسَّمَاءِ، بَلِ هُوَ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ عَنِ الْعَرْشِ، كَمَا أَنَّهُ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ عَنِ الثَّرَى، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ قَرِيبٌ مِنْ كُلِّ مَوْجُودٍ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى الْعَبْدِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ"<sup>1</sup>

وهذا كما قال الشيخ السقاف كلام محقق على أربع مساح حظية بتحقيق الدكتور فوقية دار الأنصار ص 21، وهو مخنوع من نسخ الإئانة المطبوعة في الأمواق.

4. أتبع المذهب الطاهري يتسقطون هويات الأقاليم، فيستدلون بقول الإمام القرطبي في كتابه "الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" بأن القرآن يطبق بـثبات الجهة<sup>2</sup>، وينسبون قوله في التفسير إن الله ليس له مكان<sup>3</sup>، وقوله في الأكرار حين النعصر لقوله تعالى: ﴿أَمْسِمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ﴾ وقوله عليه السلام لتجارية ((أين سد؟)) قالت: في السماء. وما كان مثله ليس على طاهره، بل هو مؤول تأويلات صحيحة، قد أبداها كثير من أهل العلم في كتبهم<sup>4</sup>.

وقوله أيضا في الأكرار: متبعوا المتشابه لا يحلو أن يتبعوه ويجمعوه طلب للتشكيك في القرآن وإصلال العوام، كما فعلته الرائدة والغرامطة والطاعون في القرآن، أو طلب لاغتفال طواهر المتشابه، كما فعلته المجسمة الذين جمعوا ما في الكتاب والسنة، مما يوهم طاهره الجسمية، حتى اعتقدوا أن البري جسم مجسم، وصورة مصورة، وذات وجه، وغير ذلك من يد وعين وجب وأصنع تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا "وهذا ما يراه ابن تيمية وأتباعه"

<sup>1</sup> إقام الحجر 17-19

<sup>2</sup> انظر هامش للتكر في أصل الأكرار ص 25 درسه هوز أحمد رمولى

<sup>3</sup> 216.18

<sup>4</sup> الأكرار 24-25

قال الفرطبي أو يتعوه على جهة بدء تأويلها أو إيضاح معانيها، كما فعل  
صبيح حين أكثر على عمر فيه من السؤال.  
فهذه أربعة أقسام:

الأول أي المشكوك لا شك في كفرهم، وأن حكم الله فيهم القتل من غير  
استئذان.

الثاني الذين يعتقدون الطاهر الصحيح القول بتكفيرهم، لا فرق بينهم  
وبين عدد الأصنام والصور، ويستبدون، فإن تابوا وإلا قتلوا، كما يفعل  
بمن ارتد<sup>1</sup>...

- وقوله في الأكر وأما ما يمكن حمله على وجوه في اللغة، فمباح في كلام  
العرب، فيتأول ويعلم تأويله المستقيم، ويرى ما فيه عما عسى أن يتمق بتأويل  
غير مستقيم<sup>2</sup>.

وله أقوال أخرى متعددة في تفسيره تؤكد هذا وتدل عليه، أثيرك غالب أقواله  
ويترك الاستدلال بها، ويؤتى لنص واحد ليس هناك ما يدل عليه شرعا ولا ما  
يعلم أنه له أو مسوس عليه، لتناقضه الواضح مع أقواله الأخرى الكثيرة  
المتعددة الموجودة في أكثر من كتاب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه  
وسلم في كل وقت وحين.

وكان آخر اجتماع عند دار العصر يوم الثلاثاء 2001/9/4 في بلاد تاجوراء  
التي هي إحدى ضواحي طرابلس لغرب.

بسم الله

<sup>1</sup> الأكر 282

<sup>2</sup> لمرجع السابق 286

فكم سعة المواضع

الصفحة	الموضوع
1	مقدمة .....
4	تمهيد .....
4	مذاهب العلماء فى الآيات المتشابهة .....
8	استقويم الإجمالى لمذهب ابن تيمية .....
14	اعتراضات ابن القيم والاجابة عنها .....
24	النقد التفصيلى .....
25	مبحث الصوت .....
25	عقيدة ابن تيمية .....
	<b>نقدھا من حيث التحليل</b>
27	النقد الأول .....
29	النقد الثانى .....
30	النقد الثالث .....
33	النقد الرابع .....
35	النقد الخامس .....
36	النقد السادس .....
37	النقد السابع .....
42	النقد الثامن .....
	<b>نقدھا من حيث النص</b>
43	النص الأول «وناديناہ من جانب ...» .....
45	النص الثانى ((..فينادى بصوت..)) .....
46	النص الثالث (حديث السلسلة) .....
47	النص الرابع ((يحشر الله العباد فيناديهم بصوت)) .....
49	قاعدة التأويل لخصائص الجمع .....
50	أمثلة القاعدة .....
52	تطبيق القاعدة على الموضوع .....

54	..... شبهة الإسناد في حديث ((أنا الديان، أنا الملك))
55	..... طريقة التعبير الديني عادة الاستعمال حين تستند الفعل إلى الله
60	..... حديث ((إن ربي عز وجل أتقى الليلة))
61	..... حديث ((إن الله خلق آدم على صورته))
63	..... حديث ((إن الله لم يمس شينا إلا ثلاثة))
63	..... آية «يوم نطوي السماء»
64	..... حديث ((يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى...))
64	..... حديث ((إن الله يحمل السماوات يوم القيامة على أصبع))
65	..... آية «والله محيط بالكافرين»
66	..... آية «وجاء ربك»
66	..... حديث ((يتمثل الله عز وجل ذكره...))
68	..... حديث ((يكشفن ساقه...))
69	..... اعتراض ابن حجر والجواب عنه
72	..... فتاوى الأئمة في الصوت والحرف
	مبحث الاستواء
77	..... عقيدة ابن تيمية
	التقويم لتحليل النصوص
78	..... آية الاستواء
81	..... تأويل السلف لها
83	..... المقصود بالعلو
85	..... مقارنة بين تحليل ابن تيمية وتحليل الأشاعرة
89	..... عقيدة السلف في عدم المكان لله
92	..... آية «أأمنتم من السماء»
95	..... حديث ((ينزل ربنا إلى السماء الدنيا))
96	..... حديث ((أين الله))
100	..... أدلة العروج والرفع
100	..... نقد التحليل
103	..... حديث المعراج

103	نقد التحليل .....
106	حديث ((لقد حكم اليوم فيهم بحكم الله ... من فوق سبع سماوات)) .....
107	قول عمر ((هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات)) .....
108	حديث ((أين كان ربنا)) .....
110	حديث ((ربنا الذي في السماء)) .....
111	حديث ((كم تعبد اليوم من إله...)) .....
111	قول ابن المبارك في السماء السابعة على عرشه .....
113	أصناف العلماء الذين ينقل عنهم ابن تيمية .....
113	كذابون .....
114	قائلون بالتجسيم .....
114	قائلون بالتشبيه .....
114	غير متخصصين .....
115	علماء ينكرون المجاز .....
117	علماء لا يعتد بروايتهم .....
118	علماء مكذوب عليهم .....
120	علماء لا تدل عباراتهم صراحة .....
120	علماء لم يحققوا المسألة .....
121	تأويل السلف للنصوص .....
126	نسبة الاستواء إلى الملكية .....
126	نقد هذه النسبة .....
133	فهرست المواضيع .....

